الفصل الثاني

الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة لَخْم فى العلوم الدينية

أولا: علوم القرآن.

ثانيا: علوم الحديث.

ثالثا: علوم الفقه.

الفصل الثاني: الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة لَخْم فى العلوم الدينية

عاشت بلاد الأندلس عقب دخول المسلمين لها فى ظل نهضة فكرَيّة أظلتها، ويرجع ذلك إلى ازدهار الحياة الدينية، وما دار حولها من مناقشات فكرَيّة واتجاهات دينية، مما أدى إلى تنوع الدراسات الدينية فى الأندلس، وإلى جانب الدراسات الدينية كانت الأندلس حافلة بالدراسات الأدبية من أدب ولغة وفنون، وكذلك الدراسات العلمية من فلسفة وطب وعلوم وغيرها، حتى صارت المدن الأندلسية تعج بطلاب العلم والعلماء من مختلف بلدان العالم الإسلامي، الذين يتباحثون ويتدارسون فى مختلف العلوم والفنون، فصار للمدن الأندلسية دورها البارز فى إزدهار الحضارة الإسلامية بما قدمته من علم وعلماء[1].

وكانت نشأة العلوم ومن ثم تطورها ونموها فى المجتمعات الإسلامية المختلفة متقاربة ومتشابهة إلى حد كبير، حيث كانت تبدأ عبارة عن بذور يتم بذرها ثم ما تلبث بفضل الرعاية والعناية والإهتمام أن تنمو وتترعرع وتزدهر، هذا ما حدث للعلوم فى المشرق، وهو بعينه أو شبيهاً له ما حدث فى المغرب والأندلس، فقد جاء الإسلام ومهد الأرض، ووضع بذور العلوم الدينية والعربية[2]. وكان مذهب أهل الأندلس عمومًا–كما يروي ابن خلدون (ت 808هـ)- "تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه فى التعليم .. ويخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر فى الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.."[3]. جدير بالذكر تلك البداية التي كان عليها اللَخْميين حيث الصادرة فى نشر العلوم الدينية حينما فتحت الأندلس، فيذكر ابن كثير عن موسى بن نصير اللَخْمي، أنه "افتتح بلاد الأندلس، وأسلم أهل

(1) حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات فى الأندلس، ص 28.

(2) حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي فى العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة)، ط1، (1414هـ/1994م)، ص 381.

(3) ديوان المبتدأ والخبر، ج1 ص 740.

المغرب على يديه، وبث فيهم الدين والقرآن"[1]، وعلى امتداد ذلك اهتم علماء قبيلة لَخْم بالعلوم الدينية التي تتمثل فى القرآن والحديث والفقه، سواء بالتدريس أو التأليف.

ونحن حينما نبحث فى دور علماء قبيلة لَخْم فى العلوم الدينية، سنجد أنه اشتمل على ثلاثة مراتب: المرتبة الأولى: طلب العلم، وهذا نعده من المشاركة فى الحياة العلمية حتى وإن لم يدرس أو يؤلف، المرتبة الثانية: التدريس للعلوم الدينية كالقراءات والحديث والفقه، والمرتبة الثالثة: التأليف فى علم من العلوم الدينية. وقد بلغ العلماء اللَخْميين هذه المراتب الثلاثة، بينما سنعتني هنا بيان اثنان من المراتب، وهي التدريس والتأليف فالمقام يضيق بنا إلا لعرض دورهم فى هذه العلوم، والتي يأتي على رأسها علوم القرآن، وسندمج طلبهم لعلم من العلوم فى إطار ذلك بقدر المستطاع.

أولا: علوم القرآن:-

يقصد بعلوم القرآن العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم كالقراءات والتجويد وعلم التفسير وعلم غريب القرآن وغيرها[2]، وكان للعلماء اللَخْميين دور عظيم وجليل فى علوم القرآن، وبرز العديد منهم فى هذا الحقل[3] بالتدريس والتأليف.

1- تدريس علم القراءات:-

يعد علم القراءات أقدم العلوم الإسلامية نشأة وعهدًا، كما كان نواة العلوم الإسلامية لدى الصحابة والتابعين الذين دخلوا الأندلس مع جنود الفتح؛ فقرأ أهل الأندلس على القراءات التي وصلتهم من المشرق منذ الفتح الإسلامي[4]؛ وتفوقوا فيها وأحرزوا نتائج رائعة، فاقوا بها غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى[5]، وقد برز العديد من علماء القراءات اللَخْميين الذين أثروا هذا

(1) ابن كثير (ت774هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ط1، (1407هـ/1986م)، ج9 ص 171.

(2) محمد علوي المالكي: زبدة الاتقان فى علوم القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008م، ص 85.

(3) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 7، جدول رقم 4): يوضح العلماء اللخميين المشتغلين بعلوم القرآن بالأندلس.

(4) مراد زهوي: منهج الإقراء فى الأندلس، (مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة، العدد: 592، تاريخ العدد: ذو الحجة، 1435هـ/اكتوبر، 2014م)، ص 45.

(5) لطفي عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1969م، ص 45.

الميدان؛ إذ كان علم القراءات واحدًا من علوم الإسلام المتعددة التي شغف بها علماء قبيلة لَخْم بالأندلس؛ حتى أفنى البعض منهم أعمارهم فيها بالتدريس؛ نشرًا للعلم وقيامًا بحقه، فعنوا به أشدّ عناية؛ إذ "أنه من أوثق العلوم صلة بكتاب الله تعالى، وأنه به يعرف تاريخ هذا القرآن الكريم، وتواتر نقله، وبه يعرف الصحيح من الشاذ، وما تصح به الصلاة وما لا تصح من القراءة، هذا وقد وردت الأحاديث الشريفة تحث على الاشتغال بالقرآن وترغّب فى قراءته وإقرائه، وتعلّمه وتعليمه"[1].

وتشير المصادر فيما أوردته من تراجم لعلماء قبيلة لَخْم بالأندلس إلى توسعهم فى قراءة القرآن بمختلف القراءات والروايات والتبحر فى دراسة المتون والكتب المؤلفة فى هذا العلم. كما تشير المصادر إلى نتاجات كثير من العلماء اللَخْميين فى إثراء الدراسات القرآنية بالأندلس فيما تجلى من مؤلفاتهم فى هذا العلم. وبداية قام اللَخْميون على تدريس القراءات فى عدة مواضع مختلفة، يتقدمها أشهر مدن الأندلس: قُرْطُبة، إِشْبِيلِيَة، طُلَيْطُلَة، غَرْنَاطَة، وبَلَنْسِيَة، شَاطِبَة، شَرِيش، جزيرة شَقْر. وكانت "الدروس العلمية على شكل حلقات من الطلبة حول العلماء الذين كانوا يملون عليهم، فيكتب الطلبة تلك الأمالي ويسجلونها فى أوراقهم"[2]، أو"يتولى المعلم الإقراء أو ينوب عنه أحد طلبته"[3].

أدلف إلينا العلماء اللَخْميين دورًا رائدًا وطيبًا فى تدريس القراءات، وكانت قُرْطُبة خلال عصر الخلافة الأموية مركزًا مهمًا من مراكز العلم الذي عني فيه العلماء اللَخْميين بعلوم القرآن سواء بتعليم القرآن أو تدريس القراءات فيما اتضح من إقرائهم بمساجدها الشهيرة كالمسجد الجامع بقُرْطُبة وهو من أشهر المساجد التي كان يعقد فيها العلماء اللَخْميين مجالسهم للإقراء، حيث كان

(1) أبو عمرو الداني (ت 444هـ): جامع البيان فى القراءات السبع، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، (1428هـ/2007م)، مقدمة التحقيق، ج1 ص 4.

(2) محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس، دار الفكر العربي، ط1، (1418هـ/1998م)، ص 354.

(3) غانم سعد: فقهاء الأندلس فى عصر الخلافة، ص 101.

مركزًا يحج إليه أهل الأندلس[1]؛ فكان مجلسًا للتلقي وللتدريس لدى أحدهم فيما ورد عن ابن العِجْل، أبو أيوب، سُلَيْمان بن عَبْد الرَّحمن اللَخْميّ القرطبي (310 – 383هـ = 922 – 993م)؛ الذي قرأ القُرآن عَلَى الأنطاكي وأتْقنه، ثم كان يُقْرَأ عليه على بَاب المَسْجِد الجَامِع بقُرْطُبة، وكان أحد أئمة المسجد الجامع، وأحد المؤذنين فيه، ثم حدَّثَ عنه غير واحِد وكُتِب عَنْهُ، وروى عن قَاسِم بن أَصْبَغ، ومُحَمَّد بن عيسى بن رفَاعَة، وأحمد بن سَعيد، ومُحَمَّد بن مُعاوية ونُظرائِهم[2].

ولما كان "علم القراءات سندًا لكثير من استنباطات الفقهاء وحجة العديد من فروع الفقه وقضاياه، حيث إنه باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام"[3]، تجلت صلة الفقه بعلم القراءات في عناية الفقيه أحمد بن قاسم اللَخْمي الأُقْلِيشي (363 – 410هـ = 973 – 1019م)، وكان قد رحل إلى المشرق فلقي بمصر الطيب بن غلبون المقرئ وأخذ عنه كتبه، وكان رجلا صالحا فاضلا، مجودًا للقرآن قائمًا فيه بالروايات، وبعد عودته كان مُلتزمًا فى مسجد الغازي بقُرْطُبة لإقراء الناس عن شيوخ لقيهم بالمشرق[4]، ونلاحظ أنه حينما عاد من رحلته إلى المشرق أراد حين نزوله لنشر علمه أن ينزل بمراكز العلم الشهيرة بالأندلس فكانت قُرْطُبة منزله. فقرأ عليه أحمد بن محمد بن

(1) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ط1، (1406هـ/1986م)، ص 10.

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص222، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8 ص 534، ترجمة رقم (55)

(3) أبو عمرو الداني (ت 444هـ): جامع البيان فى القراءات السبع، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، (1428هـ/2007م)، مقدمة التحقيق، ج1 ص 4. ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في لمستم و{لامستم}. سورة النساء، الآية رقم 43.

(4) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 16، غانم سعد: المرجع السابق، ص 109.

حيون، وحدث عنه أبو عمر بن عبد البر، وروى عنه أبو عبد الله بن عبد السلام، والخولاني، وكان رجلا صالحًا فاضلا، ثقة[1].

كما تجلى دور ابن قاسم اللَخْمي أيضًا فيما نسجه من خيوط الصلة والترابط العلمي بين قُرْطُبة وطُلَيْطُلَة فى علم القراءات وإكسابه لطلبة العلم بكليهما حينما قرر الانتقال إلى طُلَيْطُلَة فأقرأ على الناس بها إلى أن توفي[2]. وبعد وفاته استكمل مسيرته فيها أحد أئمة الإقراء لكتاب الله تعالى، الإمام الحافظ المقرئ أبي حفص، عمر بن سهل بن مسعود اللَخْمي (... – 442هـ = ... – 1050م)، وهو من أهل طُلَيْطُلَة، كان إمامًا فى كتاب الله تعالى، وروى ببلده عن القاضي أبي الحسن عبد الرحمن بن مخلد بن بقي، والسفاقسي وأبي عمر بن الحذاء وغيرهم[3].

وتجدد دور علماء القراءات اللَخْميين فى توثيق الصلة والترابط العلمي بين "قُرْطُبة" وبعض المواضع الأخرى مثل غَرْنَاطَة وبَلَنْسِيَة، ويتضح ذلك من التصدر للإقراء بأكثر من موضع بالأندلس انطلاقًا من قُرْطُبة على أيدي أحد المقرئين المَجِيدين[4]، هو المقرئ أبي بكر، محمد بن جعفر بن صاف اللَخْمي (464 – 544هـ = 1071 – 1149م)، وهو من أهل قُرْطُبة، وأصله من جَيّان، أخذ القراءات عن أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن شعيب، وأبي بكر حازم بن محمد، وأبي الحسن العبسي، واعتمده فى القراءات، وتصدر للإقراء بجامع قُرْطُبة الأعظم، وكان يؤم فى صلاة الفريضة بمسجد رحبت أبان منها، سمع منه بقُرْطُبة أبو محمد بن بونه وأبو الحسين بن ربيع الأشعري وغيرهما، وأقرأ النّاس أيضًا بغَرْنَاطَة وبَلَنْسِيَة، وعاد إلى قُرْطُبة وسمع منه بها أبو محمد بن بونه وأبو

(1) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 142، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 201، ترجمة رقم (460)، الذهبي (ت748): تاريخ الاسلام، ج9 ص 148، ترجمة رقم (309)، ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 9، ترجمة رقم (441).

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 16، ابن الجزري (ت833): المصدر السابق، ج1 ص 9، ترجمة رقم (441).

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 878، ابن الجزري (ت833): المصدر السابق، ج1 ص 591.

(4) الضبي: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 65، ترجمة رقم (78).

الحسين بن ربيع الأشعري وغيرهما، وكان فى صناعة الإقراء من المحققين المتقدمين، زاهدًا فاضلا متقللا من التعرض لأبناء الدنيا[1]، فكان "مقرئ صالح كامل متصدر"[2]، "عارفًا متحققًا بتجويد القرآن العظيم ضابطًا لأصوله، مبرزًا فى حفظ القراءات"[3].

وهكذا يتبين أن المقرئين اللَخْميين لم يكتفوا بالإقراء فى موضع واحد خلال عصر الخلافة الأموية، بل امتدا أثرهم فى الإقراء إلى أكثر من موضع بالأندلس، وتباين نشاطهم أيضًا فى ذلك فبينما ذُكر عن المقرئ أبي حفص، عمر بن سهل إقرائه بقُرْطُبة وطُلَيْطُلَة، كان المقرئ أبي بكر، محمد بن جعفر أكثر نشاطًا شمل دوره قُرْطُبة وغَرْنَاطَة وبَلَنْسِيَة، وعند كلاهما كانت قُرْطُبة هي المركز الذي انطلقت منه رحلاتهم العلمية لتدريس القراءات بالمواضع المذكورة.

واحتلت إِشْبِيلِيَة المركز العلمي الثاني بعد قُرْطُبة فى نشر القراءات على أيدي العلماء اللَخْميين، وإذا كانت قُرْطُبة مثلت لهم أهم مراكز العلم بالأندلس؛ حتى كانت منزلا لأحدهم حين العودة من الرحلة العلمية بالمشرق، فإن إِشْبِيلِيَة زخرت بكبار علماء القراءات اللَخْميين الذين نبغوا على أيدي علمائها دونما الرحيل عنها إلى المشرق، بل تذكر المصادر عن علماء القراءات اللَخْميين بإِشْبِيلِيَة ما لا تذكره عن علماء القراءات اللَخْميين بقُرْطُبة؛ فهي تُزيح الستار عن دور كبير لعلماء إِشْبِيلِيَة اللَخْميين فى علم القراءات، وتبرز لهم مكانة علمية جليلة، وإن كان ذلك قد جاء متأخرًا حيث عصر المرابطين، ولكن رغم ذلك فإنهم كانوا مميزين بأدوار أخرى فى علم القراءات عن علماء قُرْطُبة اللخميين.

وبداية تجلت عناية المُقرئين اللَخْميين بإِشْبِيلِيَة –عصر المرابطين– فى كتابة القراءات حين إقرائها على طلبة العلم فيكتبونها، وأيضًا الإنابة فى التدريس، فيما تبين من عمل أبي محمد، عبد

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 5، ترجمة رقم (7)، الذهبي: المصدر السابق، ج11 ص 864، ترجمة رقم (235)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص 291، ترجمة رقم (20).

(2) ابن الجزري: المصدر السابق، ج2 ص 109، ترجمة رقم (2891).

(3) المراكشي: الذيل والتكملة، ج6 ص 153، ترجمة رقم (397).

الوهاب بن محمد اللَخْمي (...– بعد517هـ=...–بعد1123م)، الذي أكتب القرآن وعلمه بمسجد المرادي[1] بإِشْبِيلِيَة، مناوبًا لأبي بكر دحية بن أحمد بن هارون، ذكره أبو القاسم القنطري ووصفه بالزهد والورع[2]، ونعتبره أول المقرئين اللَخْميين الذين يُذكر عنهم خلافة العلماء فى تعليم القرآن بإِشْبِيلِيَة، وكان هذا معمولا به حيث "تولى أكثر من شيخ حلقة التدريس بإذن صاحبها وتعيين شخص ينيبه إذا غاب"[3] عن حلقته.

كما كان العصر الذهبي لعلماء القراءات اللَخْميين بالأندلس هو عصر الموحدين بإِشْبِيلِيَة، وتجلى ذلك فى تعدد الأدوار التي قاموا بها؛ إذ استمرت خلافة المقرئين اللَخْميين لشيوخهم فى حلقات تدريس القراءات؛ فخلف شيخه فى مجلس تدريس القراءات بإِشْبِيلِيَة، أبو بكر الفَلَنْقيّ[4]، محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللَخْمي الإشبيلي (... – 553هـ = ... – 1158م)، كان "إمام مقرئ كامل"[5]، أخذ القراءات عن أبي الحسن شُرَيْح، وصحبه مدة، وخَلَفَه فى حلقته، وكان إمامًا فى صناعة الإقراء على الرواية يجمع إلى ذلك براعة الخط وجودة الضبط، مجودًا مُسْندًا. أخذ عنه أبو الحسن نجبة وأبو محمد بن عبيد الله الباجي وأبو ذر الخشني وغيرهم، وخرج من إِشْبِيلِيَة بلده

(1) مسجد المرادي: إحدى مساجد إِشْبِيلِيَة. ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 106، عبد الملك المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج5 ص 97، ترجمة رقم (177).

(2) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 106، عبد الملك المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج5 ص 97، ترجمة رقم (177).

(3) غانم سعد: فقهاء الأندلس فى عصر الخلافة، ص 101.

(4) الفَلَنْقيّ: ضبطها ابن الجزري (ت833) "بفتح الفاء واللام وبالقاف". غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 242، ترجمة رقم (3420). وقد أتي ضبطها دونما تفسير لهذه النسبة، ونعتقد أنها من اسمه وليست منسوبة لشيئ؛ حيث لم أجد لها ذكرًا لا في كتب البلدان ولا في كتب اللغة، وذهب حاجي خليفة في كشف الظنون، إلى كتابتها بـ "القِليعي"، ج1 ص 215.

(5) ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 242، ترجمة رقم (3420).

واستوطن مدينة فاس، وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء منها إلى أن توفي بها[1]، وكان آخر من تلا عليه بالسبع الإمام محمد بن الفتوت الفاسيّ[2].

وتظهر هنا قيمة صحبة العلماء فى طلب العلم من جهة، ومكانة طالب العلم حتى يخلف شيخه فى حلقته للتدريس من جهة أخرى؛ إذ لا نعلم السبب فى خلافة أبي بكر الفلنقي بحلقة شريح سوى منزلته لديه حيث صحبه مدة، ومكانته فى علم القراءات حيث اتقنه على يديه. أضف أيضًا رواياته الكثيرة عن الشيوح، الذين فاقوا الثلاثين شيخًا، فقد روى أبي بكر الفلنقي عن أبي الأخضر وأبي مروان الباجي وابن فندلة وأبي الوليد بن حجاج وابن العربي وأبي بكر بن طاهر وأبي عمر بن صالح وأبي العباس بن حرب وأبي الحسن بن لب وأبي العباس بن الرقاق وعباد بن سرحان وأبي المطرف بن الوراق وابن عتاب وابن رشد وابن طري وأبي بحر الأسدي وعبد الرحيم الحجاري وعبد الجليل بن عبد العزيز وأبي داود المعافري وأبي بكر بن أبي الدوس وأبي الحسن بن الباذش وأبي عمرو بن كوثر وأبي الحسن بن ثابت وأبي بكر بن جزم[3].

واشتهر فى ضبط القراءات وتجويدها بإِشْبِيلِيَة، أبو الحسن، سليمان بن أحمد اللَخْمي (... – بعد 576هـ = ... – بعد 1180م)، وهو مقرئ كامل مجود مصدر[4]، كان مُقرئًا، نَحْوِيًا، ضابطًا

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 20، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج12 ص 74، ترجمة رقم (108)، وذكر ابن الجزري (ت833) صُحبته لشريح دون خلافته له فى التدريس. غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 242، ترجمة رقم (3420). وترجم له الذهبي (ت748هـ) فى معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص 289، ترجمة رقم (13)، وذكر عنه أنه "صحب شريح مدة" ولم يشر إلى خلافته له فى التدريس أيضًا، وترجم له الصفدي (ت764)، دونما ذكر لتدريسه. الوافي بالوفيات، ج1 ص 115، ترجمة رقم (3).

(2) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج12 ص 74، ترجمة رقم (108).

(3) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج2 ص 20.

(4) ابن الجزري (ت833): المصدر السابق، ج1 ص 312، ترجمة رقم (1371). وجدير بالإشارة هنا أن هذه الفقرة من الفقرات التي اعتاد ابن الجزري ذكرها حين ترجمته لأحد علماء القراءات عمومًا، وهي تشبه إلى حد كبير الألفاظ التي يذكرها علماء الحديث عن المحدثين، مثل ألفاظ: الثقة والثبت ..الخ، وهو يتميز بذكر هذه الكلمات دون غيره،

مجودًا، أخذ عنه جماعة منهم أبو محمد بن حوط الله وأخوه أبو سليمان فى سنة (576هـ/1180م)، وأبو الحكم بن بَرَّجَان أخذ عنه القراءات وأبو الخليل مفرج بن حسين الضرير وغيرهم[1]، ونقل ابن الزبير "من خطه فى إجازته لابني حوط الله- أَبُو مُحَمَّد، وأَبُو سُلَيْمَان - تاريخ إجازته لهم فى جمادى الآخرة 580هـ. وآخر من روى عنه أبو علي بن الشلوبين[2]، وكان دينا فَاضلا[3]. ونعده فى المُقرئين اللَخْميين الذين أدركوا أثر الضبط على علم الإقراء، وقيمته وأهميته فى تعزيز مقدرة العالم وعطائه.

وبلغت مكانة المقرئين اللَخْميين شأوها بإِشْبِيلِيَة –عصر الموحدين- حتى رحل طلبة العلم للأخذ عنهم فكان الناس يرحلون إلى المُقرئ أبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن غصن اللَخْمي (... – 598هـ = ... – 1201م)، الذي تصدر للإقراء ببلده "إِشْبِيلِيَة" وعمر وأسن وانفرد أخيرًا بالأخذ تلاوة عن شريح فكان الناس يرحلون للأخذ عنه[4]. وكما ذكرنا فى الفقرات السابقة فضل شريح على المقرئين اللَخْميين، يزداد هذا الفضل لمنقبة السند عنه فى الأخذ من المقرئ أبي الحجاج يوسف اللَخْمي المذكور، حتى رحل الناس إليه لأخذه عن شريح.

ويتجلى أثر بيوتات المقرئين اللَخْميين فى الإقراء بإِشْبِيلِيَة بالإضافة إلى الإنابة والخلافة فى تعليم القرآن وتدريس علم القراءات؛ حيث تجلى هنالك جانب آخر مهم، وهو الإحلال محل

ونعتبرها من منهجه فى الترجمة للمقرئين، وقد حظى عنده علماء القراءات اللخميين بمكانة جليلة ودرجة عالية من الاتقان.

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 281، عبد الملك المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج4 ص 56، ترجمة رقم (130)، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 358–359، ترجمة رقم (842)، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج12 ص 583، ترجمة رقم (205)، ابن الجزري (ت833): غاية النهاية في طبقات القراء، ج1 ص 312، ترجمة رقم (1371)، السيوطي (ت911): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 596، ترجمة رقم (1264).

(2) ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 358–359، ترجمة رقم (842).

(3) عبد الملك المراكشي (ت703): المصدر السابق، ج4 ص 56، ترجمة رقم (130)، السيوطي (ت911): المصدر السابق، ج1 ص 596، ترجمة رقم (1264).

(4) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج4 ص 217.

المُدرس لتدريس القراءات، فيما بدى بين الابن وأبيه؛ إذ تصدر بعد أبيه للإقراء بمسجد قوس الحنية من إِشْبِيلِيَة المقرئ أبي القاسم، عبد الرحمن بن محمد بن خلف اللَخْمي (... – بعد 598هـ = ... – بعد 1201م)، ومن الآخذين عن أبي القاسم هذا أبو العباس بن النجار وغيره، قال ابن الأبار: ورأيت السماع منه بخطه سنة (598هـ/ 1201م)[1].

كما ظهر بإِشْبِيلِيَة علماء القراءات المُعمرين فى تدريس القراءات –إن صح التعبير– فمكث للإقراء زمنًا طويلا بإِشْبِيلِيَة، العلاَّمة شيخ القُرَّاءِ والنُحاة بالأَندلس[2] أبو الحسن الدباج، علي بن جابر بن علي اللَخْمي (566–640هـ= 1170–1242م)، إمام علامة، قرأ القراءات على أبي بكر محمد بن خلف بن صاف وعلى نجبة بن يحيى بقراءة نافع[3] وابن كثير وعلى أحمد بن خلف بن عيسون، عرض عليه القراءات أبو جعفر بن الطباع لنافع بكتاب التذكير[4]، وتصدر لإقراء القرآن والعربية نحوًا من خمسين سنة مع الدين والصلاح والهدي الحسن، يجمع إلى ذلك جودة الخط وحسن التقييد والضبط، وكان صهرًا لأبي بكر بن طلحة الأستاذ ونقل بأخرة من مسجده الذي أقرأ به أكثر

(1) نفس المصدر، ج3 ص 41، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 146، 147، ترجمة رقم (347).

(2) الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج16 ص 399، ترجمة رقم (5818).

(3) كان للعلامة الغازي بن قيس (ت199هـ) دور كبير فى انتشار قراءة الإمام نافع فى الأندلس، وذلك عندما قام برحلة إلى المشرق فأخذ عن نافع المدني قراءته ونقلها إلى الأندلس فانتشرت فيه وذاع صيتها فى البلاد، لذا أعده ابن الجزري أول ناقل لقراءة نافع للأندلس. ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص3، ترجمة رقم (2534). نبيل محمد إبراهيم: علم القراءات: نشأته – أطواره – أثره فى العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، (1421هـ/2000م)، ص 304.

كما أنه "أول قارئ أندلسي يذكره المؤرخون". محمد المختار: تاريخ القراءات فى المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، سلا، المملكة المغربية، (د.ط)، (1422هـ/2001م)، ص 249.

(4) ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 528، ترجمة رقم (2181).

حياته إلى جامع العدبس فكان يعلم به ويؤم فى صلاة الجهر والقاضي أبو جعفر بن منظور يؤم فى صلاتي السر[1].

وفي ضوء عناية أبي الحسن الدباج بالقراءات والعربية معًا يتضح ما كان بين علم القراءات واللغة العربية من صلة وثقى، ووشيجة كبرى، إذ "تعتبر روايات القراءات القرآنية، مشهورها وشاذها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية، والنحوية واللغوية بعامة فى مختلف الألسنة واللهجات"[2]، وكان أبي الحسن الدباج "أستاذًا فى العربيّة، يُقرئ "كتابِ سيبَوَيْه"، وغيره، وكان حُجّةً فى نقْله، مسدّدًا فى بحثه"[3].

كما تجلى أثر أبي الحسن الدباج المذكور فى إجازته للرضي الطبري، كما أخذ عنه جملة من الكبار، منهم: أحمد بن ثابت أبو العباس الماردي الإشبيلي، الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 240، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج14 ص 552، ترجمة رقم (441)، سير أعلام النبلاء، ج16 ص 399، ترجمة رقم (5818)، ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 528، ترجمة رقم (2181)، ابن ناصر الدين (ت842ه): توضيح المشتبه فى ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1413ه/1993م)، ج4 ص 74، السيوطي (ت911): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج2 ص 153، ترجمة رقم (1682)، المقري (1041ه): نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج3 ص 461، 478، 523.

(2) عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، (دراسات فى القرآن والعربية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص 7.

(3) ابن الأبار (ت658ه): المصدر السابق، ج3 ص 240، ابن سعيد (ت685ه): المُغرب فى حلى المغرب، ج1 ص 260، ترجمة رقم (185)، اليمني (ت743ه): إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، ص 212، ترجمة رقم (126)، ابن الجزري (ت833ه): المصدر السابق، ج1 ص 528، ترجمة رقم (2181)، الذهبي (ت748ه): تاريخ الإسلام، ج14 ص 552، ترجمة رقم (441)، سير أعلام النبيلاء، ج16 ص 399، ترجمة رقم (5818)، ابن قاضي شهبة (ت851ه): طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1407ه/1987م)، ج2 ص 142-143، أبو= =المحاسن (ت874ه): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ت)، ج6 ص 361، السيوطي (ت911ه): المصدر السابق، ج2 ص 153، ترجمة رقم (1682)، المقري (ت1041ه): المصدر السابق، ج3 ص 461، 478، 523.

العزيز بن محمد بن أبي الأحوص الأستاذ المجود أبو علي الحياني الأندلسي الفهري المعروف بابن الناظر قاضي المَرِيّة ومَالَقَة، قرأ الروايات على أبي الحسن بن الدباج، عثمان بن عظيمة أبو عمرو الأندلسي شيخ القراء بالجزيرَةُ الخضْرَاء، مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن أبو الحكم المالقي المعروف بابن المرحل، أديب زمانه بالمغرب وإمام وقته، وتلا بالسبع على أبي الحسن بن الدباج، محمد بن عبد الله بن عبيدة أبو بكر الأنصاري الإشبيلي، مقرئ أديب، ونجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة أبو الحسن الرعيني الإشبيلي، مقرئ كامل مصدر، ويحيى بن منظور أبو الحكم القيسي الإشبيلي ابن قاضي إِشْبِيلِيَة، أستاذ كامل صالح، وتلا القراءات على أبي الحسن بن الدباج[1].

وكان لشَاطِبَة نصيب من إسهامات المقرئين اللَخْميين فى علم القراءات؛ حيث أبي عبد الله ابن الأصيل، محمد بن أحمد بن أبي العيش اللَخْمي (496-567هـ=1102-1171م)، وهو من أهل طَرْطُوشَة، نشأ بالمَرِيّة، وسكن شَاطِبَة، وتجول فى طلب العلم؛ فأخذ (القراءات) عن أبي علي منصور بن الخير، وتلا عليه بالسبع، ثم تصدر بشَاطِبَة لإقراء القرآن فانتفع به، وكان مقرئًا مجودًا ضابطًا متقنًا، موصوفًا بجودة الفهم وتمكن المعرفة[2].كما تصدر بشَاطِبَة أيضًا للإقراء بعد إجازته فى علم القراءات عن علمائها المقرئ أبي عبد الله الجنجالي[3]، محمد بن يحيى بن علي بن بقاء اللَخْمي الشاطبي (... – بعد 607هـ = ... – بعد 1210م)، أخذ القراءات عن أبي محمد قاسم بن فيرة الشاطبي وعن أبي عبد الله بن حميد وعن أبي القاسم بن حبيش وأجاز له جميعهم، وممن أخذ عنه

(1) ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 528، ترجمة رقم (2181)، وأخذ عنه جملة من تلاميذه فى مواضع متفرقة من (غاية النهاية): ج1 ص 41، ترجمة رقم (172)، ج1 ص 242، ترجمة رقم (1066)، ج1 ص 507، ترجمة رقم (2099)، ج2 ص 36، ترجمة رقم (2644)، ج 2 ص 182، ترجمة رقم (3166)، ج2 ص 334، ترجمة رقم (3719)، ج2 ص 379، ترجمة رقم (3868).

(2) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 37، المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج5 ص 671، ترجمة رقم (1265).

(3) الجنجالي نسبة إلى جنجالة، حصن بالأندلس شمال مرسية. ويقال لها أيضا: شنتجالة. الحميري: الروض المعطار، ج1 ص 174، 347.

القراءات إفرادًا وجمعًا الفقيه الفاضل المتصوف أبو عبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الملك المعافري الشاطبي نزيل الإسكندرَيّة أجاز له فى التاسع والعشرين لذي قعدة سنة (607هـ/1210م)[1].

ومن جانب آخر اعتنى علماء القراءات اللَخْميين فى شَاطِبَة بكتابة أسمعتهم فى علم القراءات كالمقرئ الشاطبي إبراهيم بن مجاهد بن محمد اللَخْمي (... – بعد 621هـ = ... – بعد 1224م)، أقرأ القرآن وأُخذ عنه، قال ابن الأبار: رأيت السماع منه مؤرخًا بشهر رمضان سنة (621هـ/1224م)، روى عن أبي الحسن بن هذيل وأبي عبد الله بن عبد الرحيم[2].

واستقبلت بَلَنْسِيَة –خلال عصر الموحدين– أحد علماء غَرْنَاطَة اللَخْميين النابغين فى علم القراءات؛ هو أبو القاسم، محمد بن إبراهيم بن وضاح اللَخْمي (... – 587هـ = ... – 1191م)، وهو من أهل غَرْنَاطَة، نزل جزيرة شَقْر، وهو من المعمرين فى تدريس القراءات؛ أقرأ القرآن ببَلَنْسِيَة نحوًا من أربعين سنة، لم يأخذ من أحد أجرًا، ولا قبل هدية، فكان مقرئًا بلا معلوم، ولا أخذ من أحد قط دينارًا ولا درهمًا، أخذ عنه ابنه أبو بكر محمد بن محمد، وأبو عبد الله بن سعادة[3].

ويتضح من تلك الترجمة أنه كان هنالك من يأخذ أجرًا على الأقراء بالأندلس، بينما ترفع علماء القراءات اللَخْميين عن فعل ذلك فيما هو واضح من ترجمة أبي القاسم اللَخْمي، أيضًا لا نجد ذكرًا عن أحد منهم أخذ أجرًا أو هدية لا على الإقراء أو تدريس أي من العلوم الأخرى، والإشارة إلى ذلك تفيد نشرهم العلم لا لأجل مال أو جاه، إنما كان ذلك من الدين والصلاح والهدي الحسن كما هو مذكور.

---

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 96.

(2) نفس المصدر، ج1 ص 143.

(3) نفس المصدر، ج2 ص 66، المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج6 ص 104، ترجمة رقم (263)، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج12 ص 838، ترجمة رقم (271)، المقري (1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص 160، ترجمة رقم (111).

كما لمعت غَرْنَاطَة بشيخ القراء ورأس المجودين[1] أبي الحجاج العطار، يوسف بن يحيى بن عبد الله بن بقاء اللَخْمي المقرىء (... – 632هـ = ... – 1234م)، "مقرئ غَرْنَاطَة الْأَنْدَلُسِيّ العَطَّار الْمُقْرِئ الْأستاذ"[2]، من أهل غَرْنَاطَة، أخذ القراءات عَن: أَبِي خَالِد بن رِفاعة، وَأَبِي الحَسَن بن كوثر، وَسَمِعَ من: عَبْد المنعم بن مُحَمَّد، وابن حَميد، وجماعة، وذكر أَنَّ ابن هُذيل أجازَ لَهُ، وتصدر للإقراء وللإسماع بغَرْنَاطَة وأخذ عنه[3]، وكان له موضع لتدريس القراءات، فقعد للإقراء بموضع شيخه أبي عبد الله بن عروس بالمسجد الجامع، وبمسجد أبي عبد الله النميري، ووقف ابن الزبير على إجازته لبعض من أخذ عنه، وعليها خطه، وسمى فيها شيوخه نيفًا وأربعين رجلا. قرأ عليه أحمد بن علي بن محمد بن الطباع وأحمد بن سعد بن بشر شيخًا أبي حيان والحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن مسدي، قال: وكان فيه بعض تجوز فى الرواية سامحه الله"[4].

وبدى قُراء شَرِيش اللَخْميين متميزون عن غيرهم فى علم القراءات، فاشتهر بها واحدًا من كبار المقرئين اللَخْميين وإمامًا من أئمة تجويد القرآن؛ هو أبو الحسن، علي بن هشام بن عمر بن حجاج بن الصعب اللَخْمي (... – 610هـ = ... – 1213م)، وهو من أهل شَرِيش ودار سلفه إِشْبِيلِيَة، رحل حاجًا.. وأدي الفريضة فلقي .. أبا عبد الله الكركنتي قرأ عليه (القرآن بالسبع) وأبا الطاهر السلفي ولازمه دونهم وأكثر عنه، وحدث عنه جماعة من أصحاب ابن عبد البر وغيرهم، وولي الصلاة بجامع شَرِيش وأقرأ القرآن[5].

(1) ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 404، ترجمة رقم (3942).

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13 ص 591، ترجمة رقم (648).

(3) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج4 ص 222، ابن الجزري (ت833): المصدر السابق، ج2 ص 404، ترجمة رقم (3942)، الذهبي: المصدر السابق، ج13 ص 591، ترجمة رقم (648).

(4) ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 436-437، ترجمة رقم (1019).

(5) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 229. المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج5 ص 416، ترجمة رقم (708).

وكان أبو الحسن المذكور مُقرئًا فاضلا عدلا ثقة، إمامًا فى تجويد القرآن مبرزًا فى حفظ الخلاف بين القراء وهو ما مميزه عن غيره من علماء القراءات اللَخْميين، وكانت القراءات بضاعته التي لا يتقدمه أحد فى معرفتها ولا يدانيه، تصدر ببلده بعد قدومه من المشرق للإقراء وإسماع الحديث وغيره، فأخذ عنه أهل بلده وغيرهم من الراحلين إليه وكثر الانتفاع به، وتلا عليه بالسبع المقري الزاهد أبا المنصور مظفر ابن سوار بن هبة بن علي اللَخْمي، ولازمه مدة طويلة، وقد عني بذكر شيوخه فى "برنامج" يخصهم تلميذه الأخص به أبو اسحاق البونسي، ووقف المراكشي على إجازات شيوخه له بخطوطهم، روى عنه أبو اسحاق البونسي، وأباء بكر: ابن جابر وابنه السقطيان وعتيث بن محمد الصدفي وابن عيسى الحجري وابن فلحون ومحمد بن أبي عمروا وعثمان الطبري وأبو زكرياء بن خلف العطار وأبو عبد الله بن علي الشقوري وأبوا علي: العمران ابن خلف المذكور، وابن يوسف التميمي، وأبو العباس بن يحيى الجراوي وأبو القاسم بن فرقد، وأبوا محمد: الحرار وابن عمر بن خلف المذكور وعبد الله ابن أبي الحسين بن الفخار وعبد المحرز بن عبد الرزاق الحميري ومحمد بن أحمد بن أبي طالب اللَخْمي، ومحمد بن أحمد بن وهب، وحدث عنه بالإجازة جماعة منهم: أبو الحسن الرعيني. ولم يزل مأخوذًا عنه ومستفادًا منه إلى أن توفي"[1].

وتتجلى إسهامات المقرئين اللَخْميين فى جزيرة شَقْر فيما تذكره المصادر عن أبي بكر، محمد بن محمد بن وضاح اللَخْمي (559 – 634هـ = 1163 – 1236م)، تصدر ببلده "جزيرة شَقْر" للإقراء، وأخذ عنه الناس وكان رجلا صالحا لقيه ابن الأبار مرارًا وكتب إليه بإجازة ما رواه، وكان قد سمع أبا إسحاق بن فتحون، وأجاز له أبو الحسن بن هذيل وأبو القاسم بن حبيش وأبو عبد الله بن حميد وأبو بكر بن أبي جمرة، ورحل حاجًا فى عام (580هـ)، ولقي بالقاهرة أبا محمد قاسم بن فيرة الضرير الشاطبي فسمع منه قصيدته الطويلة فى الإقراء المعروفة (حرز الأماني ووجه التهاني) المسماة الشاطبية، ثم رجع فكان هو الذي أدخل الشاطبية إلى بلاد المغرب والأندلس ورواها لهم، رواها عنه

(1) المراكشي (ت703): المصدر السابق، ج5 ص 416 رقم (708).

محمد بن صالح بن أحمد الكناني والحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص والحافظ أبو بكر بن مسدي، وتصدر للإقراء ببلده[1].

وحدث بالقراءات السبع ومؤلفات علماء الإقراء بالأندلس أبي المظفر، مظفر بن سوار بن هبة الله بن علي اللَخْمي الأندلسي (... - ... = ... - ...)، حدث بالقراءات السبع وبكثير من تواليف أبي عمرو عن أبي الحسن بن هذيل لقيه ببَلَنْسِيَة[2].

ولم تكن **المرأة فى قبيلة لَخْم** بمعزل عن هذا النشاط، إذ كان "للمرأة الأندلسية باعتبارها نصف المجتمع الأندلسي دور فعال فى الحياة الفكرّيّة فى الأندلس وأسهمت فيها إسهامًا يصعب تجاهله وليس ذلك بغريب .. وكان الاهتمام بتعليم المرأة فى الأندلس يفوق مثيله فى البلدن الأخرى"[3]، وكان "تقدم المرأة الأندلسية فى العلم كان يعود إلى عناية آبائهن بهن إسماعًا للحديث، وتلقينًا للرواية، وإقراء للكتاب العزيز وإسماعًا للكتب العلمية فى فنون عديدة"[4]؛ فاشتهرت بعض النساء اللَخْميات اللاتي تتلمذ عليهن طلبة العلم مثل: أم العفاف نزهة بنت أبي الحسين سليمان اللَخْمي، أخذ عنها القراءات وتلا عليها حفيدها محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي القاسم سيد الناس، فتلا عليها بالتسع، والسبع المشهورة، وقراءتي يعقوب وابن محيص[5].

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 135، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج14 ص 158، ترجمة رقم (289)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص 347، ترجمة رقم (17)، ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 257، ترجمة رقم (3450).

(2) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج2 ص 194.

(3) محمد بركات البيلي: المرأة الأندلسية فى عصر أموي الأندلس، (مجلة المؤرخ المصري، العدد: 16، تاريخ النشر: يناير 1996م)، ص 87.

(4) محمد رستم: بيوتات العلم والحديث فى الأندلس، دار ابن حزم، ط1، (1430هـ/2009م)، ص 163.

(5) عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج2 ص 653: 662، ترجمة رقم (1245)، عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 377.

وإلى جانب عناية العلماء اللَخْميين بعلم القراءات واتقان رواياتها وضبطها، تجلت عنايتهم بـ "**تجويد القرآن**"[1]، واشتهر منهم بأُقْلِيش وإِشْبِيلِيَة وقُرْطُبة على الترتيب، فكان أول من عرف بتجويده للقرآن من المقرئين اللَخْميين كان بأُقْلِيش المقرىء أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى اللَخْمي (363 – 410 هـ = 973 – 1019م)، كان رجلا صالحًا فاضلا، مجودًا للقرآن، وله رحلة إلى مصر أخذ فيها العلم عن أَبِي الطَّيِّب بْن غلبون كُتُبَه، وقرأ عَلَيْهِ، وكان أحد المقرئين، وصنَّف فى ضوئها كُتبًا فى معاني القراءات، وأقرأ النّاسَ بطُلَيْطُلَة، وكان مُلتزمًا فى مسجد الغازي بقُرْطُبة على إقراء الناس عن شيوخ لقيهم بالمشرق[2].

وعُرف من المتقدمين فى صناعة التجويد بإِشْبِيلِيَة أبي الحسن، سليمان بن أحمد بن سليمان اللَخْمي (... – بعد 576 هـ = ... – بعد 1180م)، ذكر ابن الأبار وغيره أنه: كان مُقرئًا مجودًا، متقدمًا فى صناعة التجويد[3]، وكان التجويد للقرآن الكريم يحتاج إلى العلم بقاعدته حتى يمهر المجود فى صناعته، والتي ترجع إلى "كيفية الوقف والإمالة والإدغام وإحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف"[4].

(1) تجويد القرآن هو صناعة علمية لها قواعدها التي تعتمد على إخراج الحروف من مخارجها مع مراعاة صلة كل حرف بما قبله وما بعده فى كيفية الأداء فإنه لا يُكتسب بالدراسة بقدر ما يُكتسب بالممارسة والمران ومحاكاة من يجيد القراءة. مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، (1421هـ/2000م)، ص 190.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 16، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الاسلام، ج9 ص 148، رقم (309)، ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 97.

(3) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 281، عبد الملك المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج4 ص 56، ترجمة رقم (130)، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج12 ص 583، ترجمة رقم (205)، ابن الجزري (ت833هـ): المصدر السابق، ج1 ص 312، ترجمة رقم (1371).

(4) السيوطي (ت911هـ): الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ/1974م)، ج1 ص 100.

بينما كان الأمر مُتقدمًا فى قُرْطُبة عند المُقرئين اللَخْميين فكان بها أحد القراء المجودين بالروايات، هو أبي اسحاق المعاجري، إبراهيم بن يوسف اللَخْمي (533 – 603 هـ = 1138 – 1206م)، وهو من أهل قُرْطُبة، وكان ذا سمت وسكينة وهدي صالح ووقار[1].

ونبغ فى **العلم بمعاني القرآن وقراءاته** أيضًا بإِشْبِيلِيَة أبي مروان، عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله اللَخْمي البَرَّجَاني(... – ... = ... – ...)، ولا نعلم العصر الذي عاش فيه، وقد وصف بصحة العقل وثقوب الفهم[2].

كما حازت أيضًا "**كتابة المصاحف وضبطها**" على اهتمام أحد العلماء اللَخْميين، وإن كان ذلك قد جاء متأخرًا حيث عصر الموحدين؛ فكان يكتب المصاحف ويضبطها فيجيد ذلك أبي عمران ابن الفخار، موسى بن عيسى بن أبي خليفة اللَخْمي القرطبي (... – 611هـ = ... – 1214م)[3]، ولا نعلم أحدًا كان يكتبها ويضبها سواه، كما لا نجد أثرًا لهم فى ذلك سوى بقُرْطُبة، جدير بالذكر أن كتابة المصاحف القرآنية، كانت سببًا فى ازدهار الخط العربي بالأندلس[4].

2- العناية بكتب علوم القرآن:-

حدث العلماء اللَخْميين بثلة قيمة من كتب علوم القرآن بإِشْبِيلِيَة وقُرْطُبة، وجاءت فى موضوعات متنوعة مثل: التفسير والقراءات، والغريب والمشكل، والأمثال، والاختلاف،

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص 139، ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ص 30، ترجمة رقم (127).

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 291، وترجم له الداودي (ت945هـ) في: طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1403هـ/1983م)، ج1 ص 376-377.

(3) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج2 ص 181.

(4) رجاء العودي عدوني: الخطاطة العربية وازدهار العلوم والثقافة بالأندلس عصر الخلافة الأموية، (مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد رقم 230، 1 أبريل 2012م)، ص 18.

والأحكام[1]. وتتجلى أهمية هذا الجانب حينما نعلم أنهم حدثوا بهذه الكتب مُسندة إلى مؤلفيها عن طريق الرواية، وأحيانًا تأتي هذه الكتب مروية عن العلماء اللَخْميين بعضهم البعض داخل البيت الواحد، من الجد إلى الأب ثم الابن.

تتصدر كتب **"تفسير القرآن"** قائمة كتب علوم القرآن التي نالت عناية الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن يزِيد اللَخْميّ الإشبيلي (357–437هـ=967–1045م)، الْمَعْرُوف بِابن الأحدب، وكان رجلا صالحًا، قديم الطلب جامعًا للكتب والأصول، لقي جماعة من الشيوخ فكتب عنهم وسمع منهم[2]، حَدث بكتاب (تَفْسِير الْقُرْآن) لعبد الرَّزَّاق بن همام (ت211هـ/827م) عن الْفَقِيه الراوية أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ اللَخْميّ الْبَاجِي (291 – 378هـ = 903 – 988م) عَن أبي عمر أَحْمد بن خَالِد بن يزِيد عَن مُحَمَّد بن عبد السَّلَام الْخُشَنِي عَن سَلمَة بن شبيب النَّيْسَابُورِي عَن عبد الرَّزَّاق بن همام مُؤَلفه رَحمَه الله[3].

كما حدث بكتاب (تَفْسِير الْقُرْآن) ليحيى بن سَلام (ت 200هـ)، الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أبي مُحَمَّد، عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ اللَخْميّ الْبَاجِيّ (... – 478 هـ = ... – 1085م)، من أهل إِشْبِيلِيَة، قَالَ: سمعته على جدي أبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ الْفَقِيه[4].

---

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 15، كشاف رقم 4): المؤلفات العلمية التي رواها العلماء اللخميين بالأندلس فى علوم القرآن.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 500، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام ج9 ص 568، ترجمة رقم (211).

(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 49.

(4) نفس المصدر، ص 50، ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقق: محمد شكور الميادیني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1418هـ/1998م)، ج1 ص 111. وذكر ابن بشكوال والذهبي روايته وسماعه عن جده دونما ذكر لهذا الكتاب، ابن بشكوال: الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 275، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10 ص 422، ترجمة رقم (244).

واهتم اللَخْميون بكتب **"مُشكل القرآن"**[1]، وهو "عند أهل التفسير وعلوم القرآن الكريم يراد به الآيات القرآنية التي أشكل معناها على المفسرين ولا يعرف معنى هذا الإشكال أو لا يدفع هذا الإشكال إلا بعد تأمل الآية وطلب معناها من داخل الآية أو خارجها"[2]؛ لذا حدث فى إِشْبِيلِيَة بكتاب (تأويل مُشكل الْقُرْآن، لأبي مُحَمَّد بن قتيبه)، الشَّيْخ الْفَقِيه المشاور؛ أَبُو الْحسن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد (393 – 462هـ = 1002 – 1069م) عَن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة اللَخْميّ الْبَاجِيّ، وَابنه الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله، قَالَا: حَدثنَا بِهِ الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد ابن عبد الله، قَالَ: حَدثنِي بِهِ جدي الْفَقِيه الرِّوَايَة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة الْبَاجِيّ (291 – 378هـ = 903 – 988م)، قَالَ: حَدثنِي بِهِ أَبُو مُحَمَّد قَاسم بن أصبغ -رَحمَه الله- قِرَاءَة عَلَيْهِ مرَّتَيْنِ عَن أبي مُحَمَّد بن قُتَيْبَة مُؤَلفه[3].

ولعل فائدة رواية هذا الكتاب تتبين من إدراك الشَّيْخ الْفَقِيه المشاور أَبُو الْحسن اللَخْمي لقيمته التي انتدبت ابن قتيبة لتأليفه، والذي يذكر سبب تأليفه بقوله: "فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون"[4]، كما يتضح أيضًا من إسناد رواة هذا الكتاب، انتقال روايته داخل أحد بيوتات العلم فى قبيلة لَخْم.

أما **"غريب القرآن"** فلقي مصنف ابن قتيبة الدينوري العناية والاهتمام داخل أحد البيوتات العلمية فى قبيلة لَخْم بإِشْبِيلِيَة؛ فحدث بكتاب (تفسير غَرِيب الْقُرْآن، لأبي مُحَمَّد بن قُتَيْبَة)[5]، الشَّيْخ

(1) "المُشكل؛ سمي مُشكلا لأنه أشكل، أي دخل فى شكل غيره، فأشبهه وشاكله". ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، (1393هـ/1973م)، ص 78.

(2) عبد الله بن حمد المنصور: مشكل القران الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1426هـ، ص 52.

(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 60.

(4) ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ): تأويل مُشكل القرآن، ص 77.

(5) هذا الكتاب فى حقيقة أمره تتمة لكتاب "تأويل مشكل القرآن"؛ لأن اللفظ الغريب من غامض المُشكل الذي أزاغ ابن قتيبة إلى توضيحه وتبيين دقيقه، وإنما أفرد الغريب بكتاب، لئلا يطول كتاب المُشكل. ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، (1398هـ/1978م)، مقدمة التحقيق، الصفحة: أ.

الْفَقِيه المشاور أَبُو الْحسن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة اللَخْميّ (393 – 462هـ = 1002 – 1069م)، وَابنه الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله قَالَا: حَدثنَا بِهِ الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن احْمَد بن عبد الله، قَالَ: حَدثنِي بِهِ جدي الْفَقِيه الراوية أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة اللَخْميّ الْبَاجِيّ (291 – 378هـ = 903 – 988م)، قَالَ: حَدثنِي بِهِ أَبُو مُحَمَّد قَاسم بن أصبغ -رَحمَه الله- قِرَاءَة عَلَيْهِ عَن أبي مُحَمَّد بن قُتَيْبَة مُؤَلفه -رَحمَه الله-.

جدير بالذكر أن "الاهتمام بغريب القرآن كان لا يأت إلا من عرف العربية وأحب الكتاب الكريم الذي أنزل، وانصرفت إليه الهمم تدرسه وتحفظه وتزداد معارفها بإعجازه وحلاوة بيانه، والوصول إلى هذه الغايات محفوف بصعوبات لا يتخطاها كل أحد، ولا يقوى عليها إلا من كانت حليته الصبر، وعدته التبحر فى طلب العلم مهما كلفه الأمر، والتفكر فى نصوص القرآن وشوارد اللغة"[1]. وكان أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد اللَخْميّ (291 – 378 هـ = 903 – 988م) المذكور وهو الراوي الأول لهذا الكتاب، كان "ضابطًا لِروايَته، ثِقَة، صَدُوقاً، حافِظًا، بَصيرًا بِمَعانيه، -قال ابن الأبار- لمْ ألق فيمَن لقيته من شُيوخ الأنْدَلُس أحداً أُفَضِّلُه عليه فى الضّبط"[2]. وتلى أخذه عنه عدد من العلماء اللَخْميين، فحدث به الشَّيْخ الْفَقِيه القَاضِي أَبُو مَرْوَان، عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز بن عبد الْملك اللَخْميّ (447 – 532هـ = 1055 – 1137م) الْبَاجِيّ، وقال: قَالَ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابن عمي الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ، قَالُوا كلهم: حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله اللَخْميّ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد الله، قَالَ: حَدثنِي جدي الرِّوَايَة أَبُو

(1) عوض حمد القوزي: معاجم غريب القرآن: مناهجها-أنواعها، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج 78، ج4، ص 994.

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 292. وترجم له: القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج7 ص 34 – 35، الضبي (ت599هـ): المصدر السابق، ص 331، رقم (879)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج8 ص 452، رقم (334).

مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد ابن عَليّ عَن أبي مُحَمَّد قَاسم بن أصبغ عَن ابن قُتَيْبَة وقابلت كتابي مِنْهُ بِأَصْل الراؤية أبي مُحَمَّد الْبَاجِيّ الْمَذْكُور -رَحمَه الله- ورددته إِلَيْهِ ونقلت جَمِيع فَوَائده وحواشيه[1].

ومن ذلك يتضح مكانة حفظ سند رواية المؤلفات العلمية الخاصة بعلوم القرآن فى بيوتات قبيلة لَخْم بروايتها عن بعضهم البعض داخل البيت الواحد، ونعتقد أن ذلك كان من مكانة العلماء وتفوقهم فى العلوم بشكل عام.

وفي **"علم القراءات"** لاقت مصنفات أَبُو عبد الله، مُحَمَّد بن سُفْيَان عناية العلماء اللَخْميين بالرواية والإجازة؛ فحدث بكتاب (الْهَادِي فى الْقرَاءَات- لأبي عبد الله مُحَمَّد بن سُفْيَان الْمُقْرِئ القيرواني)[2]؛ الْفَقِيه، أَبُو مُحَمَّد، عبد الله بن إِسْمَاعِيل بن خزرج اللَخْميّ (407هـ-478هـ=1016-1085م) وأجَازَه، قَالَ: حَدثنَا بِهِ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن سُفْيَان مُؤَلفه -رَحمَه الله- إجَازَة مِنْهُ بِخَط يَده فى شعْبَان سنة (415هـ/1024م)[3]. كما أجاز له كتاب (اخْتِلَاف قراء الْأَمْصَار فى عدد آي الْقُرْآن)، قَالَ: حَدثنِي بِهِ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن سُفْيَان مُؤَلفه -رَحمَه الله- إجَازَة مِنْهُ لي بِخَط يَده فى شعْبَان سنة (415هـ/1024م)[4]. ونلاحظ أن إجازة أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن سُفْيَان بكتابيه فى علم القراءات لِلْفَقِيه أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن إِسْمَاعِيل اللَخْميّ جاءت مكتوبة له بخط يده، وفي نفس العام وفي نفس الشهر، وهذا يدلل على مدى صحبته له ومصابرته على السماع والأخذ عنه.

ومن كتب **"علوم القرآن"** التي اعتنى بها الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن إِسْمَاعِيل -المذكور- كتاب (الْبُرْهَان فى عُلُوم الْقُرْآن لأبي الْحسن الجوفي)، حَدث بِهِ إجَازَة، وقَالَ أجازني: أَبُو الْحسن عَليّ

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 58 - 59.

(2) نفس المصدر، ص 24 – 25.

(3) نفس المصدر، ص 24 – 25.

(4) من تأليف أبي عبد الله مُحَمَّد بن سُفْيَان الْمُقْرِئ القيرواني -رَحمَه الله- ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 36 - 37. نلاحظ هنا أن أبي محمد المذكور حصل على الإجازة فى رواية هذا الكتاب وهو فى سن الثامنة من عمره تقريبًا، وبينما لا نستبعد ذلك إلا أننا نعتقد أنه وهمًا من ابن خير أو أن الأمر قد اختلط عليه، وإذا رجحنا بالزيادة فى تاريخ إجازته لكان ذلك خاطئًا أيضًا.

بن إِبْرَاهِيم بن عَليّ الجوفي الْمُقْرِئ النَّحْوِيّ جَمِيع رِوَايَته وأوضاعه بِخَط يَده على يَدي أبي صَاحب الوردة فى ربيع الآخر سنة 421هـ[1].

كما تجلت العناية بكتب علوم القرآن عند علماء قُرْطُبة اللَخْميين؛ وجاء فى مقدمة عنايتهم كتب "**الأمثال فى القرآن**" فيما تجلى عند أبي القاسم، خلف بن محمد بن عبد الله بن صواب اللَخْمي (424–514هـ =1032–1120م)، وكان رجلا فاضلا، قديم الطلب للعلم، متكررًا على الشيوخ، عني بلقائهم والأخذ عنهم[2]، حدث بكتاب (الْأَمْثَال الكامنة[3] فى الْقُرْآن) للْحسن بن الْفضل (ت282هـ)"، قَالَ: وَسمعتهَا من لفظ صاحبنا أبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن يحيى عَنه[4]، وتعود عنايته بكتاب الأمثال لأهميته الدعوية؛ إذ "يستفاد من الأمثال فى القرآن بأمور كثيرة: كالتذكير، والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره تصوير محسوس، والأمثال أثبت فى الأذهان"[5].

وجاء أول اعتناء من العلماء اللَخْميين تجاه **الكتب السماوية الأخرى غير القرآن الكريم**، عند الشَّيْخ أبي الْقَاسِم، خلف بن مُحَمَّد بن عبد الله بن صَوَاب اللَخْميّ (424–514هـ =1032–1120م)، حَدث بـ(زبور داود عَلَيْهِ السَّلَام- تَرْجَمَة وهب بن مُنَبّه) عَن المقرىء أبي عبد الله الطرقي

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 63، ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، ج1 ص 393.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 172، الذهبي (ت748): تاريخ الاسلام، ج11 ص 220، ترجمة رقم (135).

(3) الأمثال الكامنة: هي عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة توافق فى معناها بعض الآيات القرآنية. وهذا هو موضوع هذه الرسالة اللطيفة الشيقة، بحيث ربط بين الآيات القرآنية وأمثال العرب. الحسن بن الفضل (ت282هـ): الأمثال الكامنة فى القرآن الكريم: تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التوبة، الرياض، (1412هـ/1992م)، مقدمة التحقيق، ص 9.

(4) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 67.

(5) الزركشي (ت794هـ): البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (1376هـ/1957م)، ج1 ص 487.

عَن أبي الْوَلِيد بن الصفار القَاضِي عَن عبد الله بن نصر الزَّاهِد عَن شُيُوخه رَحِمهم الله[1]. وتتجلى عناية اللَخْميين بذلك لِما احتواه من حكم ومواعظ؛ فزبور داود "كان مائة وخمسين سورة ليس فيها حُكم، ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكَم ومواعظ"[2].

كما استدعت عناية العلماء اللَخْميين بعلوم القرآن الاهتمام بكتب **"أَحْكَام الْقُرْآن"** لما كان "فهم كتاب الله ومعرفة أحكامه ومعانيه، ثم تطبيقه هو الغاية من إنزال هذا الكتاب المجيد، والوقوف على دلالات القرآن والتعرف على أحكامه تعد من أوجب الواجبات". وقد تجلى حرص العلماء اللَخْميين فى ذلك بالاعتناء "بأحسن ما ألف فى أحكام القرآن، وأقومها نظامًا، وأمتعها أسلوبًا، وأعذبها بيانًا، وأغزرها علمًا، وأعمقها فهمًا، وأقواها حجة"[3]، فيما تمثل بكتاب (أَحْكَام الْقُرْآن- للإمام أبي إسحاق إِسْمَاعِيل بن إِسْحَاق القَاضِي المالكي الجَهضُمي)، حدث به الشَّيْخ القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (447–532هـ=1055–1137م) الْبَاجِيّ - رَحمَه الله- قِرَاءَة عَلَيْهِ فى رَمَضَان الْمُعظم من سنة (526هـ/1131م) قَالَ: حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابن عمي صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله ابن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد قَالُوا كلهم: حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ قَالَ: حَدثنَا بِهِ أَبُو عَليّ أَحْمد بن عبد الْوَهَّاب بن الْحسن بن يُوسُف بن يَعْقُوب قَالَ أخبرنَا بِهِ المقدادي عَن إِسْمَاعِيل بن إِسْحَاق القَاضِي مُؤَلفه رَحمَه الله[4].

ونعتقد أن هذا الكتاب كان من الكتب التي أفاد بها ابن الباجي المذكور خلال عمله كقاضي بإِشْبِيلِيَة؛ خاصة أنه "كان من أهل الحفظ للمسائل، متقدمًا فى معرفتها، واستقضى ببلده

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 262.

(2) محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د.ت)، ج4 ص 1965.

(3) الجهضمي (ت282هـ): أحكام القرآن، تحقيق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1426هـ/2005م)، (سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية، رقم 34)، مقدمة التحقيق، ص 35، 43.

(4) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 47.

مرتين، وكان من أهل الصرامة والنفوذ فى أحكامه"[1]، وهذا الكتاب تتركز قيمته فى كونه "تفسير يركز على آيات الأحكام التي تشرح شرائع الإسلام وتبين الحلال والحرام[2]، ومما لا شك أن ذلك يفيد القاضي حين توليته لمهام القضاء والتي تعتمد على إصدار الأحكام.

كما حازت "**فضائل القرآن الكريم**" على اهتمام القَاضِي، أَبُو مَرْوَان، عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (447 – 532هـ = 1055 – 1137م) الْبَاجِيّ -رَحمَه الله- فحدث بكتاب (فَضَائِل الْقُرْآن لِيحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي)، قال ابن خير الإشبيلي: حدثني به قِرَاءَة مني عَلَيْهِ لِلنِّصْفِ الأول مِنْهُ وسماعًا بِقِرَاءَة غَيْرِي لِلنِّصْفِ الثَّانِي مِنْهُ قَالَ: حَدثنَا بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابن عمي الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد قَالُوا كلهم حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ الْبَاجِيّ عَن أبي عبد الله مُحَمَّد بن فطيس الغافقي عَن يحيى بن إِبْرَاهِيم بن مزين مُؤَلفه رَحمَه الله[3].

3- التأليف فى علوم القرآن:-

إن "التأليف" مرتبة سامية من مراتب العناية بالعلوم؛ وقد اعتنى العلماء اللَخْميين بالتأليف فى علوم القرآن بشكل خاص، فكان لهم مؤلفات طيبة فى هذا الحقل[4]؛ بداية من أواخر عصر الخلافة الأموية بالأندلس فى أُقْلِيش؛ فصنف فى "**معاني القراءات**" المُقرىء الأُقْلِيشي، أحمد بن قاسم

(1) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 347، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص 572، ترجمة رقم (90).

(2) الجهضمي (ت282هـ): أحكام القرآن، مقدمة التحقيق، ص 37، وللمزيد من فوائد هذا الكتاب وقيمته، يمكن الرجوع إلى نقاط عدة بينها محقق الكتاب فى مقدمة تحقيقه الطيبة، بداية من ص 44 إلى ص 50.

(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 62.

(4) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لخم بالأندلس، مؤلفات العلماء اللخميين فى علوم القرآن.

بن عيسى بن فرج بن عيسى اللَخْمي (363 – 410هـ = 973 – 1019م)، وقد أخذها الناس عنه[1]، ونحسبه أول المؤلفين اللَخْميين فى علم القراءات[2].

ونلاحظ هنا أن عناية العلماء اللَخْميين بالتأليف فى علم القراءات جاءت مُتأخرة بعض الشيء، إذ لا نجد أثرًا يشير إلى جهودهم فى التأليف فى علم القراءات قبل عصر الخلافة بالأندلس أو صدره أو ما تلاه – نقصدعصر ملوك الطوائف– فلا نجد لهم شيئًا من التصانيف فى هذه الفترة حتى عصر المرابطين؛ ذلك العصر الذي ظهر فيه ثاني المؤلفين فى القراءات بإِشْبِيلِيَة، المُقْرِئ الإشبيلي أبي الْعَبَّاس، أَحْمد بن مُحَمَّد ابن سعيد بن حَرْب اللَخْميّ (... – 539هـ =... – 1144م)، له كتاب (**التَّقْرِيب فى الْقرَاءَات السَّبع**)[3]، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، كان مقرئًا مجودًا عارفًا بالقراءات متصدرًا للإقراء، ذا عناية برواية الحديث وضبط لما يرويه[4].

(1) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 142، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة، ص 16، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 201، ترجمة رقم (460)، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج9 ص 148، ترجمة رقم (309)، ابن الجزري (ت833): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 9، ترجمة رقم (441).

(2) وزعم صاحب الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير أن هذا الكتاب هو بعنوان "تفسير العلوم والمعانى المستودعة فى السبع المثانى". وليد الزبيري وآخرون: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، (سلسلة إصدارات الحكمة، رقم (15)، السعودية، المدينة المنورة، ط1، (1424هـ/2003م)، ص 255. وهو وهم منه فهذا الكتاب أولا في التفسير وكتابنا الذي ذكرناه موضوعه في القراءات، هذا من ناحية، وثانيًا: هذا الكتاب ثابت نسبته إلى أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الحافظ شهاب الدين أبو العباس الأندلسي المالكي المعروف بابن الأقليشي توفي سنة 550هـ. هدية العارفين، ج1 ص 44، وهنالك نسخة منه حققها أحمد محمد الجندي، من إصدارات دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 34.

(4) عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج1 ص 122، ترجمة رقم (631).

وفي عصر الموحدين ألف فى "القراءات" أبي بكر الفلنقي، محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللَخْمي الإشبيلي (... – 553هـ = ... – 1158م)، له تأليف فى "القراءات" سماه: (**الإيماء[1] إلى مذاهب السبعة القراء**) أخذه عنه أبو الحسن نجبة وأبو محمد بن عبيد الله الباجي وأبو ذر الخشني وغيرهم[2]، وهو من أهم المؤلفات فى القراءات بالأندلس منذ دخول المسلمين لها عام 92هـ، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المؤلفات القيمة[3].

ويذكر الزركلي أنه صنف فى القراءات عنوانًا آخر باسم (**لؤلؤة القراء**)، وهو ينفرد به دون غيره، وقال: "من كتبه (الإيماء ..) وأرجوزة سماها (لؤلؤة القراء)"[4]، ونعتقد أنها هي تلك التي ذكرها ابن بشكوال.

وألف فى "القراءات" و"مسائل القرآن" معًا؛ أَبُو بكر الإشبيلي المقرى النَّحْوِيّ، مُحَمَّد بن خلف بن مُحَمَّد بن عبد الله بن صاف اللَخْمى (512 – 586هـ = 1118 – 1190م)، له: (**أجوبة**

(1) الإيماء: الإشارة. ابن منظور: لسان العرب، ج15 ص 415.

(2) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 20، الذهبي (ت748هـ): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص289، ترجمة رقم (13)، تاريخ الإسلام، ج12 ص 74، ترجمة رقم (108)، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج1 ص115، ترجمة رقم (3)، ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 242، ترجمة رقم (3420)، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1 ص 215، كامل سلمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1424هـ/2002م)، ج6 ص 100.

(3) نبيل محمد إبراهيم: علم القراءات: نشأته – أطواره – أثره فى العلوم الشرعية، ص 319. كما أنه "أول قارئ أندلسي يذكره المؤرخون". محمد المختار: تاريخ القراءات فى المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، سلا، المملكة المغربية، (1422هـ/2001م)، ص 249.

(4) الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج7 ص 24. أُرْجُوزَةٌ: أي قصيدة. ابن منظور: لسان العرب، ج5 ص 350.

لأهل طنجة فى سوءالاتهم المقرئين والنحويين من أهل إِشْبِيلِيَة) فى القراءات واللغة[1]. كما ألف فى التفسير، وله **(أجوبة على مسائل فى آيات من القرآن)**[2].

وهكذا جاءت عناية العلماء اللَخْميين بالتأليف فى القراءات بأُقْلِيش، وإِشْبِيلِيَة فى عصور مختلفة، كما جاءت عناوين هذه المؤلفات واضحة وجلية تُبين مقاصدها، وخلت من الغموض إلا فى العنوان الذي ذكره الزركلي فى الأعلام باسم "لؤلؤة القراء" ودار التنبيه على إشكاليته.

أما **التأليف فى "تفسير القرآن"** فوضع أول مُصنف فى التفسير للعلماء اللَخْميين فى أواخر عصر المرابطين بالأندلس، عن طريق أحد أشهر أهل المعرفة بالقراءات أبي الحكم ابن بَرَّجَان، محمد بن عبد الرحمن اللَخْمي (... – 530هـ = ... – 1135م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، وأصله من إفريقية، صنف تواليف مُفيدة منها كتاب فى تفسير القرآن، هو **(الإرشاد فى تَفْسِير الْقُرْآن)**، "لم يُكمله"[3]، وهو "تفسير كبير فى مجلدات، ذكر فيه من الأسرار، والخواص ما هو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن، وقد استنبطوا من رموزاته أمورًا، فأخبروا بها، قبل الوقوع"[4].

كما "حوى هذا التفسير بين دفتيه نقولا كثيرة متنوعة تزيد من أهميته، وبعض هذه النقول عن تفاسير مفقودة ذات أهمية ومكانة، كما أنه يخبر عن المنهج المالكي والصوفي فى القرن السادس الهجري، فابن بَرَّجَان مالكي المذهب أشعري العقيدة ينحى فى تفسيره المنحى الصوفي، أيضا يقف

(1) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 61، المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج6 ص 188 – 190 رقم (535)، الفيروزآبادي (ت817هـ): البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، ص 264.

(2) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج2 ص 61، المراكشي (ت703): المصدر السابق، ج6 ص 188 –190، ترجمة رقم (535)، الفيروزآبادي (ت817هـ): البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، ص 264، السيوطي (ت911): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 100، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، 2 ص 102.

(3) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 21، السيوطي (ت911هـ): طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، (1396هـ/1976م)، ج1 ص 68، الداودي (ت945هـ): طبقات المفسرين، ج1 ص 306، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 570،

(4) حاجي خليفة (ت1067هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، (1359هـ/1941م)، ج1 ص 1، وذكره فى موضع آخر بعنوان "تفسير اللخمي"، ج1 ص 457.

الباحث من خلاله على اتجاه المفسرين الأندلسين فى هذا القرن، أضف كذلك التعرف على ملامح وخصائص التفسير الإشاري (الصوفي) فى الأندلس قياسا على مفسري المشرق العربي"[1].

ونعتقد أن اعتناء ابن بَرَّجَان بالقراءات كان له أثره على تأليفه فى التفسير إذ أن "علم القراءات من العلوم التي يحتاج المفسر إلى إتقانها والأخذ بحظ وافر منها قبل أن يقدم على تفسير كتاب الله تعالى؛ حيث إنه يتعرّف بالقراءات على "اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغير حركة، أو إتيان لفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد"[2]. كما أنه بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض[3]. وألف ابن بَرَّجَان كتابًا بعنوان (**شرح أسماء الله الحسنى**). وقد حدث عنه أبو القاسم القنطري بتأليفيه المذكورين وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي وأبو عبد الله بن خليل وأبو محمد بن المالقي وغيرهم[4].

وحظيت علوم القرآن وخاصة التفسير فى عصر الموحدين بمزيد من الاهتمام والعناية، وكان العلماء اللَخْميين حريصون على التنصنيف فى علم التفسير، فصنف فى ذلك بقُرْطُبة، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد اللَخْمي القرطبي (511 – 592 هـ = 1117 – 1195م)، وكان أديبًا له حظ من الكتابة، له كتاب (**تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان**)[5]، وقد ناقضه ابن خروف[1] ورد عليه فى

(1) محمد فوزي أحمد طلبة: الإرشاد فى تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن أبو الحكم الإشبيلي المالكي المعروف بابن بَرَّجَان (ت536هـ): الفاتحة والبقرة وآل عمران، تحقيق ودراسة، (رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، قسم الشريعة الإسلامية، 2012م)، ص 11.

(2) أبو حيان (ت745هـ): البحر المحيط فى التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، (1420هـ/1999م)، ج1 ص 7.

(3) السيوطي: الاتقان فى علوم القرآن، ج2 ص 181.

(4) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج3 ص 21. وهذا الكتاب منشور من تحقيق: إسماعيل محمد البغدادي، دار ومكتبة بيبليون، (1431هـ/2010م).

(5) ابن الأبار (ت658): التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص 79، المراكشي (ت703): الذيل والتكملة، ج1 ص 213، ترجمة رقم (291)، الذهبي (ت748): تاريخ الإسلام، ج12 ص 971، ترجمة رقم (49)، ابن الجزري (ت833):

هذا التأليف (بِكِتَاب سَمَّاهُ: تَنْزِيه أَئِمَّة النَّحْو، عَمَّا نسب إِلَيْهِم من الْخَطَأ والسهو، وَلما بلغه ذَلِك قَالَ: نَحن لَا نبالي بالكباش النطاحة، وتعارضنا أَبنَاء الخرفان!)[2].

ثانيًا: علوم الحديث:-

كان من شيوخ العلم بالأندلس "شيخ الحديث، وهو عالم حافظ قوي الذاكرة، يحفظ الأحاديث وأسانيدها، ويستخدمها دون مشقة كلما جاءت مناسبة لاستخدامها، وهو يجمع بين فقه القرآن وفقه الحديث، مع معرفة تامة بالعربية لغة وأدبًا[3]. وقد نبغ جماعة من العلماء اللَخْميين الذين اشتغلوا بالحديث[4]؛ وتجلت جهودهم ومكانتهم فى هذا الميدان، وأثروه بطلب الحديث وسماعه وكتابته، ثم انطلقت أعمالهم الجليلة نحوه بروايته ونشره بالأندلس والتأليف فيه.

1- طلب الحديث وسماعه وكتابته وروايته ونشره:-

أَقْبَلَ طلبة العلم اللَخْميين على دراسة الحديث وجمعه وترتيبه، وكانت قُرْطُبة الموضع الأول الذي طلبوا فيه الحديث –عصر الإمارة الأموية بالأندلس- فبدأت عنايتهم بسماع الحديث[5] عن كبار المُحدثين، الذين جاء فى مقدمتهم مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس محمد بن ابنِ وضّاحٍ

غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 67، ترجمة رقم (289)، السيوطي (ت911ه): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 323، ترجمة رقم (613)، الزركلي (ت1396ه): الأعلام، ج1 ص 146-147.

(1) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي، المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي الإشبيلي؛ كان فاضلاً فى علم العربية، وله فيها مصنفات شهدت بفضله وسعة علمه. توفي سنة (610ه). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3 ص 335.

(2) ابن الأبار (ت658): المصدر السابق، ج1 ص 79. السيوطي (ت911): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 323، ترجمة رقم (613).

(3) حسين مؤنس: شيوخ العصر فى الأندلس، ص 63.

(4) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 8، جدول رقم 5): يوضح العلماء اللخميين المشتغلين بعلوم الحديث بالأندلس.

(5) "السماع من لفظ الشيخ، ينقسم إلى إملاء، وتحديث من غير إملاء، وسواء كان من حفظه أو من كتابه، فهذا أرفع الأقسام عند الجماهير". ابن الصلاح (ت643ه): معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، (1406ه/1986م)، ص 132.

القرطبي (199- 286هـ = 815 – 899م)، الذي اشتهر بصبره "على الإسماع، مُحتسبًا فى نشر علمه، سمع منه كثيرًا، ونفع الله به أهل الأندلس"[1]؛ فسمع منه أبي القاسم، أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللَّخْميّ (... – 312هـ = ... – 924م) فى قُرْطُبة، وكان شريف الهمة من أكمل النّاس عقلًا وأدبًا، وتولى قضاء الجماعة بقُرْطُبة[2].

وخَلَّفَ أبي القاسم فى سماع ابن وضاح ابن أخيه أحمدُ بن زياد بن محمدِ بن زياد بن عبد الرحمن اللَّخْميُّ (... – 326هـ = ... – 937م)، من أهلِ قُرْطُبة، كان زاهداً فاضلاً، سمعَ الحديث، وكان مُخْتصًا بمُحمد ابنِ وضّاحٍ وبإبراهيم بن محمد بن بازٍ، وحدّث كثيراً[3]، وقد أهلته منزلته العلمية أن اسْتُقضِي فى صدْر أيام الإمام النّاصر لدين الله بِقُرْطُبة، فولي قضاء الجماعة، وكان شريف الهمة"[4]، شديد التهيب فى قضائه[5].

كما سمع الحديث من ابن وضاح، قاضي إِشْبِيلِيَة عبْد الله بن خَلَف اللَّخْمي (... – نحو 330هـ = ... – نحو 941م)، وهو من أهْل إِشْبِيلِيَة، سَمِع مِنْ مُحَمَد بن وَضّاح، ثم رَوى عنْهُ أبو محمَد الباجِي وأثْنى علَيْه[6].

ونلاحظ هنا أن الذين أخذوا عن ابن وضاح الحديث تولوا منصب القضاء، فيما يتضح من أثره الجليل عليهم، إذ "كان ابن وضاح يُعلم تلامذته كيف يتلقون العلم ويأخذونه فى حلقات

(1) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 18.

(2) نفس المصدر، ج1 ص39، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الاسلام، ج7 ص 250، ترجمة رقم (10)، ابن فرحون (ت799هـ) الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، ج1 ص 156، ابن سعيد (ت685هـ): المغرب فى حلى المغرب، ج1 ص 155، ترجمة رقم (98).

(3) الخشني (ت366هـ): أخبار الفقهاء والمحدثين، ص 24، ترجمة رقم (25)، ابن الفرضي (ت403هـ): المصدر السابق، ج1 ص43، الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس، ج1 ص 124، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1 ص 180، ترجمة (403)، الذهبي (ت748هـ): المصدر السابق، ج7 ص 518.

(4) ابن فرحون (ت799هـ) المصدر السابق، ج1 ص 156.

(5) الخشني (ت366هـ): قضاة قُرْطُبَة وعلماء إفريقية، ص 98.

(6) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص266.

الدروس ومجالس العلم، فكان موقفه موقف المربي الماهر الذي يحرص على توجيه تلامذته التوجيه الصالح النافع"[1]، وكان يقول فى دروسه لتلاميذه "أول العلم الصمت، والثاني حسن الاستماع، والثالث حسن السؤال، والرابع حسن الحفظ، والخامس حسن التخير، والسادس العمل به، والسابع الفرار من الناس، والثامن نشره، إذا لم يوجد منك بد"[2].

وإذا قلنا أن الذين أخذوا عن ابن وضاح لم يتضح سوى سماعهم الحديث منه، كما أنهم تولوا القضاء، وهو أقرب إلى الفقه من الحديث، فإن هذه الملاحظة تبين أن بداية جهودهم فى علم الحديث تعلقت بالسماع فى عصر أموي الأندلس دونما تحديد لتخصصهم، وإن بدت صعوبة ذلك فى تلك الفترة التي نعتبرها عصر العلماء الموسوعيين، الذين نبغوا فى العلوم الدينية من قرآن وحديث وفقه.

وعلى كل حال لم يقتصر العلماء اللَخْميين على سماع الحديث من ابن وضاح فحسب، وإنما سمعوا الحديث من كبار المُحدثين فى عصرهم، والذين كانوا بقُرْطُبة أيضًا، فسمع أبي عُمرَ، ابن العَنَّان القرطبي؛ أحمدُ بن كِنانة اللَخْميّ (... – 383هـ = ... – 993م)، سمع الحديث من مُحمد بن عَبْد الملكِ بن أيمَنَ مسند أهل الأندلس فى زمانه، وقَاسِم بن أصْبغ، وغيرهم، ثم كان له أثره فى نشر الحديث فحدَّثَ عَنْهُ مُحمد بن إسْحاق بن السَّليم القاضي وهو على قيد الحياة، وسمع منه النَّاس كثيرًا[3].

وتُعطينا كتب التراجم والطبقات تقريرًا واضحًا عن تصدر علماء قبيلة لَخْم فى "إِشْبِيلِيَة"، و"قُرْطُبة"، و"المَرِيّة" لجمع الحديث وكتابته خلال عصر الخلافة الأموية، وعصر المرابطين. فتجلت

(1) نوري معمر: محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، (1403هـ/1983م)، ص95-96.

(2) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب مالك، ج4 ص 439.

(3) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص69، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1 ص 186، ترجمة رقم (434)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج8 ص 540، ترجمة رقم (74).

همة علماء إِشْبِيلِيَة اللَخْميين حول **جمع الحديث وكتابته** فى عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وكان أول من رحل منهم لجمع الحديث وكتابته، أبو الأصبغ عبد السّلام بن يزيد بن غِياث اللَخْمي الإشبيلي (... – 350هـ = ... – 961م)، تَرَدّد بمكة أعوامًا فى كِتابة الحديث، وكانَ مُعتَنِيًا بجَمع الحَديث مُجتَهِدًا بذلِك، وكانَ يقول: لا أدخُل الأندلس حتى أدخُل بَغْداد وأكتُب فيها الحديث، فَعاجَلَتْهُ مَنِيّتُهُ دونَ أمْنيّتُهُ[1].

ثم استمرت كتابة الحديث والعناية به من قِبل علماء قُرْطُبة اللَخْميين خلال عصر الخلافة الأموية فحجّ وكتب الحديث عن أكابر لحقهم أبي عبد الله البزاز، محمد بن عبد الله بن هابيل اللَخْمي (328 – 410هـ = 939 – 1019م)، وهو من أهل قُرْطُبة؛ وكان مُحدثًا عالمًا كثير الحفظ، سمع من أحمد بن سعيد بن حزم، وأبي بكر الدينوري المالكي (...– 333هـ= ...– 915م)، وأحمد بن مطرف، وأبي إبراهيم، وابن أبي العطاف[2]. ونلحظ هنا حرص اللَخْميين على طلب الحديث الشريف منذ الصغر حيث طلب أبي عبد الله البزاز الحديث وهو فى سن السادسة من عمره تقريبًا، وهي عدد السنوات المطروحة من وفاة أبي بكر الدينوري (ت 333هـ) وميلاد أبي عبد الله البزاز (ولد 328هـ).

كما تجلت كتابة الحديث عند علماء المَرَيّة اللَخْميين خلال عصر المرابطين على يد المُحدث أبي العباس، أحمد بن علي اللَخْمي (... – 542هـ = ... – 1147م)، وهو من أهل أريولة عمل مُرْسِيَة، وسكن المَرَيّة. كتب الحديث عن أبي عمران بن أبي تليد (ت 517هـ)[3] وأبي علي الصدفي

(1) ابن الفرضي (ت403هـ): المصدر السابق، ج1 ص 330.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 476، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج9 ص 156، ترجمة رقم (339).

(3) هو تلميذ أبي عمر بن عبد البر، سمع منه كتاب الاستذكار، وكان جدهم أبو تليد ممن رحل، وسمع من الإمام النسائي. الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج19 ص 516– 517.

وغيرهما، وكان فاضلا خيارًا، معتنيًا بسماع العلم وروايته والاشتغال به، وله رحلة أدى فيها فريضة الحج[1].

ثم جاءت **رواية المحدثين اللَخْميين للحديث ونشره** فى أكثر من موضع بالأندلس، بداية من عصر الإمارة الأموية بالأندلس حتى عصر الموحدين. تصدرت قُرْطُبة أولى المواضع –عصر الإمارة الأموية– وجاءت رواية المُحدثين اللَخْميين بها عن أكابر المُحدثين فى عصرهم؛ فكان أكثرهم رواية للحديث، محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللَّخْمي (... – 240هـ = ... – 854م)، الذي روى حديثًا كثيرًا عن المحدث الثقة مُعَاوِيَة بن صالح الحَضْرَمِيّ، وكان حسن السيرة فاضلاً، وولي القضاء والصلاة[2].

واستقبلت قُرْطُبة –عصر الخلافة الأموية بالأندلس– أشهر رواة الحديث من علماء إِشْبِيلِيَة اللَخْميين، ابن الباجيّ الإشبيلي، عبد الله بن محمد بن سماعة اللَّخْميّ (291 – 378هـ = 903 – 988م)، وكانَ ضابطاً لِروايَته، ثِقَة، صَدُوقاً، حافِظاً لِلْحَديث، بَصيراً بِمَعانيه، قال ابن الفرضي: لمْ ألق فيمَن لقيته من شُيوخ الأنْدَلُس أحداً أُفَضِّلُه عليه فى الضّبط. قال إسماعِيل بن إسحاق: لمْ يكُن بالأندلُس بعد عبد المِلك بن حبيب مِثْل أبي محمد الباجي، واسْتَقْدَم إلى قُرْطُبة سنة (368هـ/978م) فأقام بها يُحَدِّث الناس إلى سنة سبْعين وثلاثمائة، ثمَّ انْصَرَف إلى مَوضِعه. وسمِع منهُ ابن الفرضي بقُرْطُبة كثيراً؛ رحل إليهِ بإِشْبِيلِيَة رحلتين سنة (373هـ/983)، وسنة (374هـ/984). روى عنهُ الناس كثيراً، وحَدّث نحواً من خمْسين سنة، وسَمعَ منهُ الشيوخ: إسْماعيل ابن إسحاق، وأحمد بن

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص 49، وفي "معجم أصحاب الصدفي" لابن الأبار، و"الذيل والتكملة" للمراكشي: روايته عن أبي عمران بن أبي تليد، دونما ذكر لما رواه عنه من حديث. معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 30–31، الذيل والتكملة، ج1 ص 305، ترجمة رقم (392).

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 6، الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 56، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 76، ترجمة رقم (121).

محمد الخزّاز الإشْبِيليّ الزّاهد، ومحمد بن حَسَن الزبيدي، وعبد الله بن إبراهِيم الأصيلي وغيرهم مِنْ نُظَرائهم ومِمَّنْ دُونَهم[1].

اتضح بقُرْطُبة تفاوت مكانة المحدثين اللَخْميين، فلم يكونوا جميعًا على درجة واحدة من حفظ الحديث، فيما تبين بين اثنان من المحدثين اللَخْميين؛ فمنهم من اضطرب فى حفظه أواخر عمره كأبي عبد الله الحَدَّاد، محمد بن عبد الملك بن ضَيْفُون بن مروان اللَخْمي (302 – 394هـ = 914 – 1003م)، وكان رجُلاً صالحًا أحد العُدول، حَدَّث، ولكنه علت سنه، فاضطرب فى أَشْياء قُرِئت عليه وليْسَت مما سَمِعَ، ولا كان من أهل الضَّبْط[2]. بينما نجد أحد المعاصرين له بقُرْطُبة، كان من أكثر المحدثين اللَخْميين شهرة فى حفظ الحديث وكتابته، هو أبي عبد الله البزاز، محمد بن عبد الله بن هاني اللَخْمي (328 – 410هـ = 939 – 1019م)، كان فقيهًا محدثًا كثير الحفظ لأخبار فقهاء الأندلس. حدث عنه الخولاني وأثنى عليه، وأبو محمد بن نامي، وأبو عمر بن سميق، وأبو محمد بن حزم وغيرهم[3].

وتجلت فضائل المحدثين اللَخْميين من ناحية أخرى فى ضوء عناية رواة الحديث بنقل رواياتهم إلى كتبهم، فيما تبين عن ابن السراج، عبد الرحمن بن أبان بن فيض اللَخْمي (... – ... = ... – ...)، وهو من أهل شذونة، من قلسانة، وسكن قُرْطُبة، حدث عنه شيخ الإسلام أبو عمر ابن عبد البر (ت 463هـ/1071م) فى كتاب التمهيد من تأليفه، وكان سماعه لأبي القاسم خلف بن سعيد بن المنفوخ وسماع أبي عمر بن عبد البر وأبي عبد الله الخولاني واحدًا[4].

---

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص 281.

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2ص 110.

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 476، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج9 ص 156، ترجمة رقم (339).

(4) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ج1 ص 304، ترجمة رقم (688)، ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 9.

لم يكن المحدثين اللَخْميين بِإِشْبِيلِيَة أقل قدرًا من محدثي قُرْطُبة اللَخْميين، فقد لمعت إِشْبِيلِيَة بالإِمَامُ الحَافِظُ المُحَقِّقُ المحدث، أبو عمر، ابن الباجي، أحمد بن عبد الله اللَخْمي (332 – 396هـ = 943 – 1005م)، كان مُحدثًا[1]، من أهل العلم بالحديث، مُتقدمًا فى الفهم، عارفًا بالحديث ووجوهه، إمامًا مشهورًا بذلك[2]، سَمِعَ مِنْ وَالِدِه جَمِيْع مَا عِنْدَهُ، مِنْ ذَلِكَ "مُصَنَّفُ ابْن أَبِي شَيْبَةَ" بروَايته عَنِ القَبرِي، عَنْ بَقِيَ بن مَخْلَدٍ، عَنْهُ[3].

وقد أثنى على أبي عمر ابن الباجي المذكور؛ ابن عبد البر، أثنى عليه ثناءًا حسنًا جميلا، فقال: كان أبو عمر الباجي إمام عصره وفقيه زمانه، جمع الحديث والرأي والبيت الحسن والهدى والفضل، ولم أر بقُرْطُبة ولا بغيرها من كور الأندلس رجلاً يقاس به فى علمه بأصول الدين وفروعه، كان يذاكر بالفقه ويذاكر بالحديث والرجال ويحفظ غريبي الحديث لأبي عبيد، ولأبي محمد بن قتيبة حفظاً حسنًا. وقال: قرأت على أبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي كتاب المنتقي لأبي محمد الجارود، أخبرني به عن أبيه عن الحسن بن عبد الله الزبيدي عن ابن الجارود، وكتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجارود، وكتاب أبي حنيفة لابن الجارود، وكتاب الآحاد لابن الجارود، وكلها بهذا الإسناد[4]، وكَمَّلْتُ عَلَيْهِ "مصنّف" ابن أَبِي شَيْبَة سنة (395هـ/1004م)، وكان إمامًا فى الْأُصُول والفروع[5].

(1) ابن ماكولا (ت475هـ): الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب، ج1 ص 467.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 16، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج8 ص 760، ترجمة رقم (177)، سير أعلام النبلاء، ج17 ص 74، ترجمة رقم (3665).

(3) الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج17 ص 74، ترجمة رقم (3665).

(4) الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 184-185، ترجمة رقم (423).

(5) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج8 ص 760، ترجمة رقم (177).

وكان هنالك من حاز على حظٍّ صالح من الحديث والرأي بإِشْبِيلِيَة، أبو القاسم الإشبيلي، عباس بن يحيى بن قرلمان اللَخْمي (350 – 426هـ = 961 – 1034م) وكان ثقة ثبتًا فى الحديث، ذكره ابن خزرج، أخذ عنه أيضًا أبو عمر بن عبد البر[1].

وإلى جانب دور المحدثين اللَخْميين بقُرْطُبة وإِشْبِيلِيَة فى نشر الحديث وروايته، اشتهر بطُلَيْطُلَة من المحدثين اللَخْميين –عصر ملوك الطوائف– أبي حفص، عمر بن سهل بن مسعود اللَخْمي (... – 442هـ = ... – 1050م)، وهو من أهل طُلَيْطُلَة، كان حافظًا لحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– عالمًا بطرقه، لسنًا، حافظًا لأسماء الرجال وأنسابهم، خفيف الحال قليل المال، قانعًا راضيًا –رحمه الله– حدث عنه أبو المطرف بن البيروله، وروى بطُلَيْطُلَة عن أبي الحسن عبد الرحمن بن بقي بن مخلد، والسفاقسي، وأبي عمر بن الحذاء وغيرهم[2].

وكان من أوسع المُحدثين اللَخْميين رواية للحديث وسماعًا له بلُورَقَة –عصر المرابطين– أبي جعفر، أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللَخْمي (... – 516هـ = ... – 1122م) من أهل لُورَقَة، كان واسع الرواية، كثير السماع من الشيوخ، ثقة فى روايته عاليًا فى إسناده. أجاز له أبو عمر بن عبد البر، وأبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، وأبو الوليد الباجي. روى عن أبي عثمان طاهر بن هشام وأبي محمد المأموني، وأبي عبد الله بن المُرابط، وأبي إسحاق بن وردون، وأبي بكر بن صاحب الأحباس وأبي عبد الله بن سعدون، وأبي الحسن بن الخشاب، وأبي بكر بن نعمة العابر، قال ابن بشكوال: أخذ عنه جماعة من أصحابنا وكتب إلينا بإجازة ما رواه[3].

كما روى اللَخْميين الحديث فى غَرْنَاطَة –عصر الموحدين– فاعتنى بذلك أبي الحجاج، يوسف بن يحيى بن عبد الله بن بقاء اللَخْمي (... – 632هـ = ... – 1234م)، من أهل غَرْنَاطَة،

(1) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 420.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 878، ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج1 ص 591.

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 78.

روى الحديث عن أبي محمد بن بونه وأبي خالد بن رفاعة وغيرهما، وروي بغَرْنَاطَة عن أبيه عروس وابن رفاعة وابن حكم وطبقتهم، وحدث بغَرْنَاطَة ونعي ببَلَنْسِيَة سنة (632هـ/1234م)[1]. وقد سبق ذكره فى عداد المقرئين، وكانت عنايته بالحديث هي الرواية فيما وقفنا عليه من قول لابن الأبار بذكره روايته للحديث بغَرْنَاطَة.

2- العناية برواية كتب الحديث:-

اعتنى علماء الحديث الأندلسيين بكتب الصحاح والسنن المشهورة واهتموا بها اهتمامًا بالغًا فدرسوها وشرحوها[2]، وشملت عناية اللَخْميين رواية كتب الحديث من جوامع وسنن ومصنفات وأجزاء[3]، وسنرتب عنايتهم هذه وفق المشهور عند علماء الحديث فى ترتيب أنواع المصنفات فى الحديث النبوي.

جاء على رأس **"جوامع الحديث"** التي عني بها علماء الحديث اللَخْميين، الصحيحان (البخاري ومسلم)؛ إذ أنهما "أصح الكتب بعد القرآن العزيز، تلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلمًا كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث"[4]. و"كان دخول صحيح البخاري المغرب والأندلس والإقبال الشديد عليه من العلماء وطلبة العلم نقلة كبيرة فى مجال الدراسات ونوعية المؤلفات إذ لقت

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 222، بينما ترجم له دونما ذكر ذلك، كل من: ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 220، ترجمة رقم (429)، ابن الجزري (ت833هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء، ج2 ص 404، ترجمة رقم (3942)، فهو عندهم من المقرئين وليس ممن اشتغلوا بالحديث.

(2) فايزة عبد الله الحسّاني: تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها (316-512هـ/928-1118م)، دراسة سياسية وحضارية، (رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية)، (1429هـ/1430م)، ص 222.

(3) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 15، كشاف رقم 4): المؤلفات العلمية التي رواها العلماء اللخميين بالأندلس فى علوم الحديث.

(4) النووي (ت676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م، ج1 ص24.

عناية العلماء إلى كتب الحديث ودراستها ومعرفة رجالها وعلل الحديث وعلومه بعد أن كان جل دراستهم مقتصرًا على دراسة الفقه عامة وفقه الإمام مالك خاصة "[1].

وقد برزت كوكبة من العلماء اللَخْميين الذين اهتموا بصحيح البخاري، وكانت سَرَقُسْطَة أولى المواضع التي تجلت فيها عناية علماء الحديث اللَخْميين برواية صحيح البخاري[2] عن كبار المُحدثين الذين عاصروهم –عصر ملوك الطوائف– فرواه أبي زاهر، سعيد بن محمد بن سعيد بن أبي زاهر اللَخْمي (... – بعد 463هـ = ... – بعد 1070م)، وهو من أهل سَرَقُسْطَة، روى صحيح البخاري عن أبي الوليد الباجي، وسُمع منه بسَرَقُسْطَة فى سنة (463هـ/1070م)، وكان سماعه وسماع أبي داود المقرئ وأبي محمد الركلي واحد، وروى عن مُحدث الأندلس الجليل أبي الوليد الباجي وعن أبي محمد ثابت بن ثابت البردلوري وأبي عبد الله محمد بن سعيد العبدري صاحب الصلاة وأبي يونس بن مسعود.

وكان أبي زاهر المذكور أكثر المُحدثين اللَخْميين حصولا على أكثر من إجازة فى الحديث، فحصل على إجازة جُملة كبيرة من أكابر علماء عصره كأبو عمران الفاسي وأبو هارون موسى بن خلف بن أبي درهم ومن أهل المشرق أبو الفوارس الزينبي وأبو الحسن المبارك بن عبد الجبار وغيرهم: أمثال أبو الفضل بن خيرون، وأبو الحسين بن عبد القادر، وأبو يعلى بن محمد العبدي وجعفر أبو محمد بن السراج والحسن أبو غالب والحسين الطبري، أبو عبد الله، وحمد أبو الفضل ، وحمزة الزبيري أبو القاسم ورزق الله أبو محمد وطراد الزينبي أبو الفوارس وعبد الله بن طاهر أبو القاسم وابن أبي زكرياء أبو الفضل وعبد الواحد بن علي أبو القاسم وعاصم بن الحسن أبو الحسين،

(1) محمد عبد الله أحمد المولى: الجهود العلمية المتعقلة بصحيح البخاري فى المغرب والأندلس فى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، (مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 2/15، (1435هـ/2014م)، مج8 ص 17. وهذا البحث الصغير قدمها كرسالة ماجستير. أشرف الويد: جهود علماء المغرب العربي و الأندلس فى خدمة صحيح الإمام البخاري رواية ودراية، (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة، 2015م).

(2) هو (الجَامِع الْمُسند الصَّحِيح الْمُخْتَصر من أُمُور رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وسننه وأيامه)، للإِمَام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ. ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 82-85.

والعليون: ابن الحسن الشافعي وابن الحسين وابن الطيب آباء الحسن، والمحمدان: ابن احمد بن عبد الباقي أبو بكر، وابن علي أبو الغنائم، ومالك البانياسي أبو عبد الله والمبارك بن عبد الجبار أبو الحسين ونصر المقدسي أبو الفتح[1].

ونال صحيح البخاري عناية طيبة من المحدثين اللَخْميين بإِشْبِيلِيَة –عصر المرابطين– فحدث به ابن بَرَّجَان أبي الحكم، عبد الرحمن بن أبي الرجال اللَخْمي (... – 530هـ = ... – 1135م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، وأصله من إفريقية، سمع من أبي عبد الله بن منظور صحيح البخاري، وحدث به عنه[2].

كما اهتم علماء الحديث اللَخْميين بروايات صحيح البخاري، وانصب اهتمامهم بروايتان له، الرواية الأولى: "رِوَايَة أبي زيد الْمروزِي"، وقد حدَّث بها الشَيخ القَاضِي المحدث، أَبُو مَرْوَان عبد الْمَلك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ (447 – 532هـ = 1055 – 1137م)[3] سَمَاعًا عَلَيْهِ لأكثرها ومناولة لجميعها قَالَ: حَدثنِي بهَا أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله قَالُوا كلهم: حَدثنَا بهَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله قَالَ: كتب أبي أَبُو عمر أَحْمد بن عبد الله كتاب البُخَارِيّ عَن بعض ثِقَات أَصْحَابه المصريين وسمعته بقرَاءَته عَلَيْهِ حَدثنَا بِهِ عَن أبي زيد مُحَمَّد بن أَحْمد الْمروزِي عَن مُحَمَّد بن يُوسُف الْفربرِي عَن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ[4]. أما الرواية الثانية لصحيح البخاري كانت

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 116، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج4 ص 41، ترجمة رقم (95).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج3 ص 21.

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 347، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 381، ترجمة رقم (1071)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج11 ص 572، ترجمة رقم (90).

(4) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 82-85.

"رِوَايَـة الْقَابِسِيّ"، وحـدث بهـا أَبي جَعْفَـر أَحْمـد بـن عبـد الْعَزِيـز اللَخْمـيّ (... – 533هـ = ... – 1138م)[1].

واستمرت رواية المُحدثين اللَخْميين لصحيح البخاري بإِشْبِيلِيَة –عصر الموحدين– فرواه بإِشْبِيلِيَة المُحدث اللَخْمي أبي محمد الحرار، عبد الله بن قاسم بن خلف اللَخْمي (591 – 646هـ = 1194 – 1248م) أخذه من طريق أبو اسحاق الزهري (109 – 184هـ = 727 – 800 م) عن شريح سماعًا، وكان منافسًا فذًا فى هذا الباب، فيما يذكره ابن الزبير: "وكان هو وصاحبه أبو محمد طلحة بن أبي بكر بن طلحة كفرسي رهان فى هذا الباب"[2].

بينما كان صحيح مسلم[3] هو أكثر متون الحديث رواية عند المُحدثين اللَخْميين خلال عصر المرابطين فاعتنوا فيه بِرِوَايَة ابْن ماهان، التي حدث بها الشَّيْخ القَاضِي أَبُو مَرْوَان؛ عبد الْملك بن عبد الْعَزِيـز اللَخْمـيّ الْبَـاجِيّ (447 – 532هـ = 1055 – 1137م)[4] سَـمَاعًا عَلَيْـهِ مـرّة وثانيـة، قَـالَ: حَدثنِي بهَا أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد قَالُوا كلهم: حَدثنَا أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْفَقِيه قَالَ: حَدثنَا أَبُو الْعَلَاء عبد الْوَهَّاب بن عِيسَى بن ماهان البغدادي سَمَاعًا عَلَيْهِ مَعَ أبي –رَحمَه الله– بِمصْر. قدمهَا علينا قَالَ: حَدثنَا أَبُو بكر أَحْمد بن مُحَمَّد بن يحيى الْفَقِيه على مَذْهَب الشَّافِعِي الْمَعْرُوف بالأشقر بنيسابور قَالَ: حَدثنَا أَبُو

(1) نفس المصدر، ص 86.

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 297، واكتفى ابن الزبير (ت708هـ) بالإشارة إلى روايته عن أبي محمد الزهري. صلة الصلة، ص 104، ترجمة رقم (233).

(3) (الْمسند الصَّحِيح الْمُخْتَصر من السّنَن بِنَقْل الْعدْل عَن الْعدْل عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم)، للإِمَام أبي الْحُسَيْن مُسلم بن الْحجَّاج بن مُسلم الْقشيرِي النَّيْسَابُورِي. ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 85.

(4) أشار ابن بشكوال (ت578هـ) إلى روايته عن أبيه وعمه وابن عمه. الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 347، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 381، ترجمة رقم (1071)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج11 ص 572، ترجمة رقم (90).

مُحَمَّد أَحْمد بن عَليّ بن الْحُسَيْن بن الْمُغيرَة بن عبد الرَّحْمَن القلانسي. قَالَ حَدثنَا أَبُو الْحُسَيْن مُسلم بن الْحجَّاج الْقشيرِي النَّيْسَابُورِي -رَحمَه الله-[1].

وبذلك حفظت بيوتات العلم فى قبيلة لَخْم رواية الصحيحان (البخاري ومسلم) عن مؤلفيهما عن طريق السند، وهذه مكانة جليلة فى رواية الحديث والعناية به بل كانت من أعظم الأسانيد لجوامع الحديث بالأندلس، ونلاحظ أيضًا أن أول الرواة فى سلسلة هذا السند كان فقيهًا، هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْفَقِيه، مما يبرهن على موسوعية علماء قبيلة لَخْم بالأندلس.

من ناحية أخرى اعتنى المُحدثين اللَخْميين برواية (الصحيحان: البخاري ومسلم) معًا بالأندلس -عصر المرابطين أيضًا- دونما تمييز لأحد الصحيحان على الآخر، ومن أولئك الذين اعتنوا بهما جملة واحدة أبي جعفر، أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللَخْمي (... – 516هـ = ... – 1122م) من أهل لُورَقَة، روى الصحيحان عن المُحدث المتقن أبي العباس العذري (ت 478هـ)، وهو شيخ إمامي الأندلس ابن عبد البر وابن حزم اللذان رويا عنه، وكان ثقة فى روايته عاليًا فى إسناده[2].

جدير بالذكر أنه كانت هنالك رحلات علمية لعلماء قبيلة لَخْم خارج الأندلس لسماع الصحيحان، فرحل علماء قبيلة لَخْم من إِشْبِيلِيَة ومَيُورْقَة إلى المشرق فى عصر المرابطين لسماع الصحيحان (البخاري ومسلم) فانطلقت رحلة من إِشْبِيلِيَة إلى المشرق لسماع الحديث، قام بها أبي محمد، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الملك اللَخْمي (... – بعد 517هـ = ... – بعد 1123م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، رحل حاجًا فأخذ بمكة عن أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري سمع منه (صحيح مسلم) فى شهر رمضان سنة (492هـ)، ثم قفل إلى بلده وحدث بصحيح مسلم، وأخذ الناس عنه،

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 85.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 78.

ووجد ابن الأبار لأبي الحكم عمرو بن حجاج رواية عنه ولجابر بن غالب الجذامي سمع منه (صحيح مسلم) فى سنة (517هـ)[1].

ورحل أيضًا أبي الحجاج ابن نادر الميورقي، يوسف بن عبد العزيز اللَخْمي (... – 523هـ = ... – 1128م)، سمع فى رحلته بمكة من أبي عبد الله الطبري (صحيح مسلم)، ومن أبي الحسن علي بن سلمان البغدادي (صحيح البخاري) بروايته عن أبي ذر، وأحيا علم الحديث فى رحلته بالإسكندرَيّة فكتب عنه وسمع منه جلة. ومن الرواة عنه أبو بكر بن أسود القاضي وأبو عبد الله بن الحضرمي وأبو محمد العثماني الديباجي وأبو القاسم بن عساكر وأبو عبد الله الكركنتي وأبو الوليد بن الدباغ أجازه وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة القاضي لقيه وقال كان من أفضل ما لقيت فى رحلتي علما وعملا وورعا وزهدا وحكى عنه أبو عمر بن عات أنه قال ما رأيت مثل أبي الحجاج تواضعًا وفضلا وعلمًا. أجاز له أبو مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي، وأجاز لأبي الوليد بن الدباغ[2].

وهنالك من العلماء اللَخْميين الذين استفادوا من سماع هذه المتون على أيدي العلماء الأندلسيين دونما الرحلة إلى المشرق، وكانت "سَرَقُسْطَة" إحدى المواضع الهامة التي حظيت على اعتناء العلماء اللَخْميين بسماع الصحيحان؛ فاعتنى بـ (صحيح مسلم) بالقراءة على العلماء بِإِشْبِيلِيَة، أبي الحسين سليمان بن أحمد بن سليمان اللَخْمي (... – بعد 576 هـ = ... – بعد 1180م)، وهو جد أبي العباس بن سيد الناس لأمه، سمع من ابن العربي (صحيح مسلم) بقراءته عليه[3].

---

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 106، واكتفى عبد الملك المراكشي بإشارته إلى أخذه عن الطبري. الذيل والتكملة، ج5 ص 97، ترجمة رقم (177).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 203، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 428-429، ترجمة رقم (998)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص 391، ترجمة رقم (83).

(3) انفرد بذكر ذلك ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج4 ص 281، بينما أشار الباقون إلى أخذه عن ابن العربي دونما تصريح لأخذه الحديث، وهم: عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج4 ص 56، ترجمة رقم (130)، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 358- 359، ترجمة رقم (842)، السيوطي (ت911هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 596، ترجمة رقم (1264).

بيد أن أهم رحلات اللَخْميين العلمية إلى المشرق لطلب متون الحديث (الصحيحان) كانت فى القرن السابع الهجري –عصر المرابطين– تلك التي قام بها القاضي أبي مروان، محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله الراوية اللَخْمي الباجي (564–635هـ=1168–1237م)، من بيت كبير بالأندلس يعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء، من أهل إِشْبِيلِيَة، رحل إلى المشرق من سبتة فى الرابع والعشرين لمحرم سنة (634هـ/1236م).

وهذا المحدث دخل دمشق من مرسى عكا فى سابع رمضان منها وأقام بها إلى منتصف شوال، ونزل بالمدرسة العادليّة، وأخذ بها عنه الحديث، وسمع بدمشق بقراءته على أبي نصر محمد بن هبة الله بن مميل الشّيرازيّ من أول (صحيح البخاري) إلى: كتاب الأيمان وتناول جميعه عن أبي الوقت إجازة وانصرف، كما أجاز له أبوه أبو عمر أحمد، وأجازه له أبو عبد الله بن المجاهد وأبو محمد بن عبيد الله وأبو القاسم السهيلي وأبو عبد الله بن الفخار وأبو العباس بن مقدام وأبو حفص بن عمر القاضي[1]، روى عن أبي بكر بن الجد سمع منه كثيرًا وعن أبي عمر عياش بن عظيمة وأبي إسحاق بن ملكون وله رواية عن أبي بكر بن طلحة والحاج أبي بكر بن علي، ولم يكن من أهل العناية بالرواية، وقد أخذ عنه البعض ولقيه ابن الأبار غير مرة واجتمع به عند شيخه أبي بكر بن محرز، توفي بالقاهرة بعد رجوعه من الحج[2]. فخسرت الأندلس واحدًا من كبار المحدثين الفضلاء.

كما تجلى اهتمام العلماء اللَخْميين **بالسنن (سنن الترمذي، سنن النَّسَائِيّ)**، وهي من المتون الحديثية التي رواها وكتبها علماء بَلَنْسِيَة ويَابُرَه اللَخْميين –عصر المرابطين– ويأتي فى مقدمتها (سنن

(1) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 136، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): المصدر السابق، ج5 ص 687-695، ترجمة رقم (1298)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج14 ص 184، ترجمة رقم (360)، سير أعلام النبلاء ج16 ص 298، ترجمة رقم (5715)، وذكر دخوله دمشق، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج2 ص 118، رقم (459)، المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص 514-516، ترجمة رقم (206).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 136.

الترمذي=جامع الترمذي) فاهتم علماء بَلَنْسِيَة اللَخْميين بكتابته كأحد أهم متون الحديث، اعتنى بذلك أبي عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن خلصة اللَخْمي (... – 521هـ = ... – 1127م)، وهو من أهل بَلَنْسِيَة، وأصله من شريون، من أعمالها، "سَمِعَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ جَامِعَ التِّرْمِذِيِّ وَكَتَبَهُ عَنْهُ بِخَطِّهِ، وقال ابن خير الإشبيلي: وَعِنْدِي السِّفْرُ الأَخِيرُ مِنْهُ، وَأَجَازَ لَهُ مَا سَمِعَهُ أَوْ أُجِيزَ لَهُ فى رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ (502هـ/1108)، قَرَأْتُ ذَلِكَ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الصدفي[1].

كما رواه أبي محمد اليابري، يعيش بن المفرج بن سعيد اللَخْمي (... – بعد 530هـ =...– بعد1135م)، وهو من أهل يَابُرَه، وسكن إِشْبِيلِيَة، قال ابن الأبار: روى ببلده (جامع الترمذي) فى سنة (495هـ/1101م) عن أبي القاسم الهوزني سمعه منه، وعن غيره[2].

ومن سنن الحديث التي لاقت عناية اللَخْميين بإِشْبِيلِيَة –عصر الطوائف– (سّنَن النَّسَائِيّ)، وله روايتان اعتنى بهما المُحدثين اللَخْميين، الرواية الأولى: "رِوَايَة مُحَمَّد بن قَاسم"، حَدث بهَا مُحَمَّد بن عبد الله بن يزِيد اللَخْميّ الإشبيلي الْمَعْرُوف بِابْن الأحدب (357 – 437هـ = 967 – 1045م) قَالَ حَدثنِي بهَا الْفَقِيه الراوية أَبُو مُحَمَّد، عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ اللَخْميّ الْبَاجِيّ قَالَ حَدثنَا بهَا أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن قَاسم بن مُحَمَّد عَن أبي عبد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ رَحمَه الله. أما الرواية الثانية: من سنن النسائي، هي "رِوَايَة حَمْزَة بن مُحَمَّد الْكِنَانِي" –رَحمَه الله– حَدث بهَا الشَّيْخ أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (... – 533هـ = ... – 1138م)[3].

كما حَدث بسنن النَّسَائِيّ –عصر المرابطين– الشَّيْخ القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ رَحمَه الله (447–532هـ=1055–1137م)، قَالَ حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر احْمَد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد قَالُوا كلهم حَدثنَا بِهِ الْفَقِيه

(1) ابن الأبار (ت658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 107.
(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 235.
(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 93 – 94.

أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله عَن جده الراؤية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ الْبَاجِيّ عَن مُحَمَّد بن قَاسم عَن النَّسَائِيّ[1].

وحازت رواية **المصنفات الحديثية** على اهتمام المحدثين اللَخْميين، منها: (مُصَنف أبي بكر بن أبي شيبَة)، اعتنى به الشَيخ الْفَقِيه القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ رَحمَه الله (447–532هـ=1055–1137م)، قال ابن خير: حدث به مناولة مِنْهُ لنا فى أصل جد جده أبي مُحَمَّد الراوية قَالَ حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد رَحِمهم الله قَالُوا كلهم حَدثنَا بِهِ الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ قَالَ حَدثنَا بِهِ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن يُونُس قَالَ حَدثنَا بِهِ بَقِي بن مخلد عَنهُ[2].

واعتنى بـ (مُصَنف عبد الرَّزَّاق بن همام) الشَّيْخ القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ رَحمَه الله (447–532هـ=1055–1137م)، قال ابن خير: حدث به مناولة مِنْهُ لي فى الأَصْل الْعَتِيق أصل الراوية أبي مُحَمَّد الْبَاجِيّ قَالَ حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد الْبَاجِيّ قَالُوا كلهم حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ الْبَاجِيّ قَالَ حَدثنَا بِهِ أَبُو عمر أَحْمد بن خَالِد ابْن يزِيد قِرَاءَة مِنْهُ علينا عَن أبي يَعْقُوب إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الدبرِي عَن عبد الرَّزَّاق[3].

ومن مصنفات الحديث الهامة التي حدث بها وأجازها القَاضِي أَبُو مَرْوَان (مُصَنف وَكِيع بن الْجراح)، قال ابن خير: حَدث بِهِ شَيخنَا الْفَقِيه القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ -رَحمَه الله- (447–532هـ=1055–1137م)، قِرَاءَة عَلَيْهِ وَأَنا أسمع وفاتني مِنْهُ فَأَجَاز لي

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 96.

(2) نفس المصدر، ص 110.

(3) نفس المصدر، ص 107.

جَمِيعه وناولني جملَته قَالَ حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد قَالُوا كلهم حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْبَاجِيّ عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ الْبَاجِيّ عَن أبي مُحَمَّد قَاسم بن أصبغ وَمُحَمّد ابْن عبد الْملك بن أَيمن قَالَا حَدثنَا مُحَمَّد بن وضاح عَن مُوسَى بن مُعَاوِيَة عَن وَكِيع[1].

كما اعتنى المحدثين اللَخْميين **برواية الأجزاء الحديثية** بالأندلس، منها: (آدَاب الصُّحْبَة) لأبي عبد الرَّحْمَن النَّيْسَابُورِي (325-412هـ=936-1021م)، حَدث بِهِ الشَّيْخ الفقيه أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (... – 533هـ = ... – 1138م) رحمه الله قِرَاءَة مني عَلَيْهِ قَالَ: حَدثنَا بِهِ الشَّيْخ أَبُو عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد بن فيره الصَّدَفِي[2].

ومن **المسلسلات الحديثية** التي اعتنى بروايتها فى قُرْطُبة عصر المرابطين: (الْأَحَادِيث المسلسلات): تَخْرِيج الشَّيْخ أبي الْقَاسِم عبد الْعَزِيز بن بنْدَار ابْن عَليّ الشِّيرَازِيّ عَن شُيُوخه رَحِمهم الله، قال ابن خير: ... قَرَأت جَمِيعهَا على الشَّيْخ الإِمَام أبي الْقَاسِم، خلف بن مُحَمَّد بن عبد الله بن صَوَاب اللَخْميّ (424 – 514هـ = 1032 – 1120م) رَحمَه الله فى مَسْجده بقُرْطُبة فى ربيع الأول سنة (512هـ) وسلسلتها مَعَه قولا وفعلا وَعَملا[3]، ومنها: (مسلسلات أبي بكر بن العربي)، فى الحديث، رواها بإِشْبِيلِيَة –عصر الموحدين– المقرئ أبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن غصن التجيبي وقال فيه أبو الحكم بن عظيمة اللَخْمي (ت 598هـ)، وقد رواها عن أبي بكر بن العربي[4].

ومن الأجزاء الأحديثية الخاصة: (الْأَحَادِيث النسطورَيّة): وَهِي أحد عشر حَدِيثًا، وهي منسوبة إلى جَعْفَر بن نسطور الرُّومِي صَاحب رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وَرَضِي عَنهُ؛ حَدث

(1) نفس المصدر، ص 106.

(2) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 129.

(3) نفس المصدر، ص 148.

(4) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 217.

بها الشَّيْخ الإِمَام، أَبُو الْحجَّاج، يُوسُف بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (... – 523هـ = ... – 1128م)، سَمَاعًا عَلَيْهِ[1].

ومن الأجزاء الحديثية الأخرى: أحاديث الفضائل، مثل (فَضَائِل التَّابِعين -رَضِي الله عَنْهُم- لسَعِيد بن أَسد بن مُوسَى)؛ حَدث بهَا الْوَزير أَبُو بكر مُحَمَّد بن عبد الْملك عَن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ -رَحمَه الله- عَن أبي عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد الغساني عَن أبي العَاصِي حكم بن مُحَمَّد الجذامي عَن أَبُو مُحَمَّد عبد الرَّحْمَن بن عمر بن مُحَمَّد بن النّحاس وَأبي الْقَاسِم خلف بن قَاسم بن سهل الْحَافِظ[2].

ومن الأجزاء الحديثية (الأربعون حديثًا- لابن ودعان)، رواها أبي محمد اليابري، يعيش بن المفرج بن سعيد اللَخْمي (...–بعد530هـ=...–بعد1135م)، وهو من أهل يَابُرَه، وسكن إِشْبِيلِيَة، حدث عنه أبو القاسم بن بشكوال بأشياء من روايته منها، و(الأربعون حديثًا- لابن ودعان) سمعها منه بِإِشْبِيلِيَة فى شعبان سنة (530هـ/1135م)، وحدث عنه أيضًا أبو بكر بن خير وكناه أبا البقاء[3].

ولكن يتضح من رواية أحد العلماء اللَخْميين المشتغلين بالحديث الشريف لهذا الكتاب؛ الغفلة عن علم الجرح والتعديل بالوقوف على سيرة صاحب الكتاب، ولنا هنا وقفة حول مؤلف كتاب (الأربعون حديثًا- لابن ودعان)، فالقاضي أبو نصر ابن ودعان الموصلي (ت 494هـ) عليه من الذهبي كلامًا فى "سير أعلام النبلاء"، ورغم أن الذهبي أورده فى تراجمه، إلا أنه قال: "وإنما أوردته هنا لشهرته، وقد ذكرته فى "الميزان" وأنه غير ثقة، ولا مأمون .. قال السلفي: سألت شجاعًا الذهلي عن ابن ودعان، فلم يجب عنه. قال السلفي: قرأت عليه "الأربعين" جمعه، ثم تبين لي حين تصفحت

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 145. وترجم له: الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 491، ترجمة رقم (1446)، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 426 – 427، ترجمة رقم (993)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص 901، ترجمة رقم (363).

(2) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 236.

(3) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج4 ص 235.

كتابه تخليط عظيم يدل على كذبه، وتركيبه الأسانيد على المتون"[1]. ويظهر من ذلك عدم العناية بعلم الجرح والتعديل أحيانًا لجامع الأحاديث ومؤلفها بالوقوف على سيرته، وإن كانت هذه ليست إلا حادثة منفردة لأحد العلماء اللَخْميين المشتغلين بالحديث. كما يتبين أيضًا فى ضوء رواية الكتب التي أُلفت فى الحديث بالأندلس فى ضوء هذه الملاحظة أنها كانت تروى أحيانا من لدن رواة غير مشتغلين بعلم الحديث، وقد ذكرنا عن أبي محمد اليابري سابقًا روايته لجَامِعَ التِّرْمِذِيِّ.

ولاقت **المسانيد**، عناية علماء الحديث اللَخْميين، منها: (مُسْند حَدِيث الْمُوَطَّأ) لأبي عمر أَحْمد بن خَالِد بن يزِيد رَحمَه الله، حَدث بِهِ أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ القَاضِي رَحمَه الله (447–532هـ=1055–1137م) مناولة مِنْهُ لابن خير فى أصل جد جده الراوية قَالَ حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد وَابْن عمي الْفَقِيه المشاور صَاحب الصَّلَاة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد قَالُوا كلهم حَدثنَا الْفَقِيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة اللَخْميّ الْبَاجِيّ[2].

ومن كتب الحديث الأخرى التي شملت عناية المحدثين اللَخْميين، **كتب غريب الحديث، والتهذيب، والضعفاء والمتروكين**، وتتجلى عناية المُحدثين اللَخْميين واهتمامهم بغريب الحديث عند ابن الباجي، أحمد بن عبد الله بن شريعة اللَخْمي (332 – 396 هـ = 943 – 1005م) يعرف بابن الباجي الإشبيلي؛ حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وقال: كان يحفظ (غَرِيْبي الحَدِيْث لأَبِي عُبَيْدٍ، وَابنِ قُتَيْبَةَ) حفظًا حسنًا، وقال عبد الغني بن سعيد الحافظ فى كتاب "مشتبه النسبة": "كتبت عنه وكتب عني[3].

(1) الذهبي (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء، ج ص 165 - 166.

(2) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 77.

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 16، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 184، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج8 ص 760، ترجمة رقم (177)، سير أعلام النبلاء، ج12 ص 523، ترجمة رقم (3665).

وتجلت قيمة مصنفات ابن الجارود فى الحديث فيما أخبر به القاضي أبو القاسم وغيره عن ابن موهب عن أبي عمر بن عبد البر قال: قرأت على أبي عمر أحمد بن عبد الله اللَخْمي الباجي (كتاب المنتقي لأبي محمد الجارود)، أخبرني به عن أبيه عن الحسن بن عبد الله الزبيدي عن ابن الجارود، و(كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجارود)، و(كتاب أبي حنيفة لابن الجارود)، و(كتاب الآحاد لابن الجارود)[1].

واهتم العلماء اللَخْميين بكتب غريب الحديث وشروحاه؛ فحدث بكتاب (شرح غَرِيب الحَدِيث ومعانيه)، الشَّيْخ الْفَقِيه المشاور الْمُحدث أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (... – 533هـ = ... – 1138م) -رَحمَه الله- إِذْنا ومشافهة قَالَ حَدثنِي بِهِ الشَّيْخ الْفَقِيه أَبُو عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد الغساني -رَحمَه الله- قَالَ أجَازه لي أَبُو عَمْرو بن الْحذاء عَن أبي الْمطرف عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عِيسَى بن فطيس[2].

كما حدث بكتاب (تَهْذِيب المؤتلف والمختلف- لمُحَمد بن حبيب، تأليف أبي عبيد الْبكْرِيّ)؛ الشَّيْخ أَبُو بكر مُحَمَّد بن عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (... – 536 هـ = ... – 1141م)[3].

3- التأليف فى علوم الحديث:-

هذا هو القسم الأخير من جهود المحدثين اللَخْميين فى علوم الحديث، والذي يظهر فيه آثارهم العلمية ومؤلفاتهم المتنوعة فى علوم الحديث[4]، والمنهج فى عرضها هنا سيكون بعرض اسم المؤلف وكتبه، وقد نذكر فائدة عن هذا الكتاب بقدر المستطاع، وقد نتجاوز ذكر ذلك، فليس المقام

(1) الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 184.

(2) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 161.

(3) نفس المصدر، ص 188.

(4) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لخم بالأندلس، مؤلفات العلماء اللخميين فى علوم الحديث.

الحديث عن الكتب بقدر ذكرها والإشارة إليها بالتنبيه على جهود علماء قبيلة لَخْم نحو التأليف فى علوم الحديث.

ويتجلى بداية أن أول ظهور لمؤلفات علماء الحديث اللَخْميين، كان فى عصر الخلافة الأموية بالأندلس، والذي ألف فيه عن **"الرجال والرواة"** عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن محمد بن يزيد اللَخْمي (... – بعد 369هـ = ... – بعد 979م)، ألف (**المستدرك على رواة مالك ابن أنس**)، وهو استدراكه من أُغفل من رواة مالك بن أنس[1].

ثم ظهر فى عصر المرابطين، أعظم المصنفين اللَخْميين فى علم الحديث المُحدث الجليل أبي الوليد الدباغ، يُوسُف بن عبد الْعَزِيز بن فيرة اللَخْميّ (482 – 546هـ = 166 – 1262م)، وهو من أهل أندة، سكن مُرْسِيَة، صنف كتبًا جليلة ونافعة فى علوم الحديث ورجاله، من أهمها: كتاب (**رشحة النصيح من الحَدِيث الصَّحِيح**)[2]، وله (**طَبَقَات الْحفاظ من أهل الحَدِيث**)[3].

وله فهرسة فى شيوخه، بعنوان (**فهرسة الْفَقِيه الْمُحدث الْحَافِظ أبي الْوَلِيد يُوسُف بن عبد الْعَزِيز بن يُوسُف اللَخْميّ الْمُعْرُوف بِابن الدّباغ رَحمَه الله**)؛ ذكرها صاحب "صلة الصلة"، بقوله: "شيوخه أفرد لذكرهم تأليفا، ذكر فيه نسب كل واحد منهم، ونبذة من أخباره وبلده، ونحلته التي كان ينتحلها، وشيوخه الذين روى عنهم؛ فجاء تأليفًا بليغًا"[4]، وقال ابن خير: روايتي لَهَا عَن صَاحبه الْفَقِيه أبي الْحُسَيْن عبد الْملك بن مُحَمَّد بن هِشَام الْقَيْسِي رَحمَه الله[5]. ومن مصنفاته:

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 7.

(2) البغدادي: هدية العارفين، ج2 ص 552.

(3) ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة ص 427، ترجمة رقم (993)، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص552.

(4) ابن الزبير (ت708هـ): المصدر السابق، ص 426 – 427، ترجمة رقم (993).

(5) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 385.

(الغوامض والمبهمات)؛ وهو يعني بمن جاء اسمه فى الحديث مبهمًا فعينه، أورده ابن خير الإشبيلي فى "فهرسته"، وذكر: "حَدث بِهِ الشَّيْخ الراوية أَبُو الْقَاسِم خلف بن عبد الْملك الْأَنْصَارِيّ عَنهُ"[1].

وصنف فى "**معاجم الشيوخ ورواة الحديث**"؛ عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن خلف اللَخْمي[2] (591 – 646هـ = 1194 – 1248م)، كان من أئمة صناعة الحديث وتقدم فيها، سمع أبا محمد عبد الرحمن بن محمد الزهري وأبا الحسين بن عظيمة، وروى عن أبي جعفر بن يحيى وأبي الحسن الشقوري وأبي محمد بن حوط الله وأبي القاسم الملاحي وأبي القاسم بن بقي وأبي الحسين بن زرقون وأبي عمر بن عات وجماعة من الشيوخ وغيرهم، وشيوخه يزيدون على المائتين وله معجم فيهم سماه **(الدرر والفرائد فى نخب الأحاديث وتحف الفوائد)**؛ وهو عبارة عن معجم فى الرجال، ذكره ابن الأبار، وأشار إلى الهدف من تأليفه، وهو جمع شيوخه، الذين يزيدون على المائتين[3].

ولم ينصرم القرن السابع الهجري حتى صنف فى **"شروح الحديث وأصوله"**، أَبي الْعَبَّاس الإشبيلي الْمُحدث المالكى، شهَاب الدَّين؛ أَحْمَد بن فرج بن أَحْمَد بن مُحَمَّد اللَخْمى، (... – 699هـ = ... – 1299م)، له **(شرح الأربعين النووية)؛ فى** الحَدِيث[4]، وهي منظومة فى أصول الحَدِيث[5].

(1) نفس المصدر، ص 187.

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 297، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 104، رقم (233).

(3) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 194.

(4) وتتوفر منه نسخة مخطوطة بمكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم المسلسل: (20264)، تحت فن: حديث، رقم الحفظ: (0747-فب). وهنالك نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الأزهرية، بالقاهرة،= =تحت رقم (1870)، (20465). مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: خزانة التراث، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم المسلسل: (20264)، (102514)، تحت فن: حديث.

(5) البغدادي: هدية العارفين، ج1 ص 102.

ومن مصنفاته فى **"مصطلح الحديث"** أيضًا قصيدة (**غرامي صحيح**)[1]، وهي قصيدة غزلية فى ألقاب الحديث ضمنها ابن فرح أنواع الحديث موربًا عنها، وقد حظيت باهتمام العلماء، فقد رواها عن ابن فرح كبار الحفاظ والعلماء من تلاميذه، مثل: الدمياطي، واليونيني، وقد اشتملت على العديد من المصطلحات الحديثية، وقد قال عنها تاج الدين السبكي: "وهذه القصيدة بليغة، جامعة لغالب أنواع الحديث"، وقد ذكرها السبكي فى عشرين بيتًا[2]. وتناولها بالشرح جملة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم، وهي دالة على تمكن الرجل[3].

(1) وجاءت تسميتها بذلك من مطلعها: (غرامي صحيحٌ والرجا فيك معضل *** وحزني ودمعي مرسَلٌ و مسلسلُ). وهنالك نسخة منها مخطوطة محفوظة تحت اسم "منظومة فى أصول الحديث"، بدار الكتب الوطنية فى تونس، تحت رقم (2777). مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج97 ص 100، رقم المسلسل: (97476).

(2) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي- عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، (1413هـ/1992م)، ج8 ص 27- 29.

(3) وهذه المنظومة مطبوعة ضمن شروحها التي يمكن الوقوف عليها فى مؤلف واحد جمعها أحد الباحثين. هشام محمد حيجر الحسني: أربعة شروح لمتن غرامي صحيح، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، (1431هـ/2010م)، ص 7- 8. وفيه صورة من المنظومة المخطوطة، ص 13. ومن الشروح المطبوعة لهذه المنظومة أيضًا: شرح قصيدة غرامي صحيح فى أنواع الحديث، لبدر الدين الحسيني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، غزة، فلسطين، ط3، (106هـ/1985م).

ثالثًا: علوم الفقه:-

يطلق الفقه على "الفهم والعلم والفطانة، والكشف عن المعاني الخفية"[1]، أما الفقيه "فهو ممن اتصف بعلم الفقه أو بالاجتهاد، الضابط لما روى، الفاهم للمعاني، المُحسن لرد ما اختلف فيه إلى الكتاب والسنة"[2]، ولهذه الصفات جميعها "كان الفقيه فى المجتمع الأندلسي يتمتع بتوقير الناس واحترامهم فيُكرم فى معاملته وحياته الخاصة والعامة، وبلغ من سمو منزلة الفقيه وتألق مكانته أن صفته كانت تطلق على النحوي واللغوي، لأنها أرفع السمات وأرقى الصفات العلمية لدى الناس"[3].

1- عناية الفقهاء اللَخْميين بالفقه المالكي:-

لقي المذهب المالكي منذ ظهوره انتشارًا واسعًا فى الأندلس والمغرب[4]، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح المذهب الرسمي للدولة فى الأندلس، وأصبح فقهاء المالكية فى الأندلس والمغرب فى مقدمة علماء بلادهم، وكان لهم دورهم المؤثر على الأصعدة العلمية والاجتماعية والسياسية كافة؛

---

(1) الراغب الأصفهاني: المفردات فى غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1412هـ، ص 384، الفيروزآبادي (ت817هـ): بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج4 ص 210. أبي البقاء الكفوي: الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ج3 ص 344.

(2) الخطيب البغدادي (ت1399هـ): الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2، 1421هـ، ص 49.

(3) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 269.

(4) كانت المالكية ثابتة الأركان فى الأندلس والمغرب، وكان ذلك يعود إلى الترابط العلمي الوثيق بينهما، إذ كانت خصوصيتهما الثقافية متشابهة جدًا إن لم تكن واحدة، والعديد من علمائهما كانت نشأتهم الثقافية واحدة. محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م)، ص 182.

Watt Motogomery: AHistory of Islamic spain, " Great Britain" , 1965. P65.

بحيث أصبح للفظة الفقيه مكانة متميزة فى الأندلس، ومن يراد أن يلقب بلقب ذي مرتبة عليا سمي فقيهًا[1].

أسهم اللَخْميون فى نشاط حركة الدراسات الفقهية فى الأندلس فظهر العديد من العلماء اللَخْميين الذين اشتغلوا بالفقه وعلومه[2]، ومن بينهم عدد لا يقلون بحال عن كبار فقهاء المشرق، ويتضح لنا ذلك إذا علمنا أنه كان فى إِشْبِيلِيَة وحدها نحو اثنا عشر فقيهًا، وفي قُرْطُبة ثمانية، وأعداد أخرى فى مناطق مُتفرقة من نواحي الأندلس؛ وكانت عنايتهم بارزة فى ذلك العلم لارتباطه بالدين الإسلامي وعمق اتصاله بمصادره الكريمة المُتمثلة فى كتاب الله عزوجل والسنة المطهرة، فقد نال من العلماء اللَخْميين بالأندلس عناية بالغة، فتوفر كثير من الفقهاء اللَخْميين على دراسة هذا العلم وتيسير قواعده وتوضيح تعاليمه للمُسلمين لتكون أيسر فهمًا وأسهل معرفة لأذهانهم فيستقيم به سلوكهم ومعاملاتهم الدينية والدنيوية، وتنتظم به أحوالهم وعلاقاتهم.

وكان من عوامل ازدهار الدراسات الفقهية؛ إقبال كثير من طلاب العلم على دراسة الفقه وتعلم مسائله لما كانوا يأملونه من تولي الوظائف العامة الدينية والمدنية، ويذكر أحد الباحثين: "أن وظائف المشاورين والقضاة والكتاب وخطباء المساجد وغيرها كانت وقفًا على الفقهاء تقريبًا"[3]. ويذكر الآخر أن شيوخ الفقه بالأندلس كانوا "ناس عمليون، يحصلون من العلم ما ييسر لهم سبل

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج1 ص 102.
Robert Ignatius Burns: Islam under the crusaders: Colonial Survival in the Thirteenth-Century Kingdom of Valencia, Princeton University Press, 1973. P.221.
علياء هاشم: فقهاء المالكية دراسة فى علاقاتهم العلمية فى الأندلس والمغرب، حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، (رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة الموصل، 1424هـ/2003م)، ص 2.

(2) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 9، جدول رقم 6): يوضح العلماء اللخميين المشتغلين بعلوم الفقه بالأندلس.

(3) خوليان ريبرا: التربية الإسلامية فى إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر، مطبعة القاهرة الجديدة، ص 68.

العيش والعمل فى قسم الفرائض أو كتابة الوثائق والشروط، وربما ولاية القضاء، والغالب أن يقبل الفقيه من هذا الطراز على الوظائف الإدارية التي تحتاج إلى علم بالفقه"[1].

على كل حال ظهرت المذاهب الفقهية فى ديار الإسلام فكان أشهرها المذهب المالكي، نسبة إلى مالك بن أنس إمام دار الهجرة، إلى جانب بعض المذاهب الأخرى التي لم تصعد بمرور الزمن وتغير الأحوال فكان فى الأندلس مذهب الإمام الأوزاعي، وهو مذهب أهل الشام، وأول من أدخله للأندلس صعصعة بن سلام الدمشقي (ت192هـ/807م)، ولكن لم يلبث أن ضعف شأنه بموت العارفين به ولم يبق منه سوى ما يوجد فى كتب الخلاف[2]، عشية اشتهار المذهب المالكي فى ديار الإسلام. ويكمن أثر المذهب المالكي فى الأندلس بكونه أهم المحاور التي دارت حولها المؤلفات الأندلسية المبكرة، شرحا وتوضيحا لكتاب الموطأ، ودراسة لرجاله وأسانيده، ودفاعًا وانتصارًا له، وتأليفًا حول المذهب بشكل عام.

يرجع الفضل فى دخول موطأ مالك إلى الأندلس "مُكمَلا مُتقنًا"[3] إلى القاضي الشهير زِيَاد بن عَبْد الرَّحمن اللَخْمي المعرُوف بزياد شَبْطون (...–204هـ=...–819م)، ويعتبرونه "أول من أدخل الأندلس فقه مالك بن أنس، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي"[4]، وكان زياد ممَّن رَوَى عَنْ مالِك بن أنَس من أهْل الأندلُس، وسَمِع منه المُوطَأ، ولَهُ عنه سمَاع هُو مَعْرُوف بسَماع زِيَاد، وكان فى صحبته وعرف بكونه "صاحب مالك"، واعتمد عليه تلاميذه فى أخذ "الموطأ"، "فروَى عنه الموَطأ يحيى بن يحيى قَبْل أنْ يَرحَل إلى مالِك، ثُمَّ رَحَل فأدْرَك مالِكاً فَرَواه عَنْهُ إلاَّ أبواباً فى كِتاب الاعتكاف شَكَّ فى سَمَاعِها من مالِك فَأبْقى رِوايته فِيها عَن زِيَاد عَنْ مالك"[5].

---

(1) حسين مؤنس: شيوخ العصر فى الأندلس، ص 64.

(2) الذهبي (ت748هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (1419هـ/1998م)، ج1 ص 182.

(3) المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص 45، ترجمة رقم (11).

(4) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 218.

(5) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص182، القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة اعلام مذهب مالك، ج1 ص 26، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج4 ص 1104،

وينسب البعض إلى الغازي بن قيس (ت199هـ/804م) إدخال فقه مالك للأندلس بالإضافة إلى زِيَاد بن عَبْد الرَّحمن اللَخْمي المذكور، ولكن يتضح أن "زيادًا كان له الأثر الأكبر فى انتشار المذهب المالكي وتعريف الناس به أكثر من معاصره الغازي بن قيس، الذي كان بدوره أحفظ لموطأ مالك من زياد المذكور"[1]، وعبارة المقري التي يعلق بها على موطأ زياد بوصفه "مكملا متقنًا"[2] تدلنا على أن الموطأ قد دخل الأندلس من قبل بدون تهذيب وهذا الذي فعله الغازي حين أدخله للمرة الأولى، مع العلم أن مالك قد استمر فى تأليف الموطأ أربعين عام[3]، ثم أدخله زياد "مكملا متقنًا".

وبينما هذا هو المشهور والمعروف عند بعض الباحثين إلا أن هنالك حدثًا مُهمًا سبق ذلك – عصر الإمارة الأموية- وهو أن طُليب بن كامل اللَخْمي (... – 173هـ = ... – 789م) كان من كبار أصحاب مالك بن أنس وجلسائه، وروى عنه ابن القاسم وابن وهب وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك، قال ابن حارث: وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك، وقال ابن وضاح: كان طليب بن كامل نبيلاً وهو من العرب من لَخْم[4]، ولكن يتضح أن دخول فقه مالك للأندلس فعليًا كان على

ترجمة رقم (95)، سير أعلام النبلاء ج8 ص 70، ترجمة رقم (1410)، العبر فى خبر من غبر، ج1 ص 243، ابن فرحون (ت799هـ) الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، ج1 ص 370، المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص 45، ترجمة رقم (11)، ابن العماد (ت1089هـ): شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج2 ص 439.

(1) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، (422-488هـ/1030-1095م)، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، (1406هـ/1986م)، ص 266.

(2) المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص 45، ترجمة رقم (11).

(3) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1 ص 195.

(4) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج2 ص 178، ج3 ص 61، ابن فرحون (ت799هـ) الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، ج1 ص 405.

يد زياد المذكور، فهو "الرائد الأول للجماعة التي نشرت موطأ مالك ومذهبه وسماعه بالأندلس، وعليها فهو الرائد الأول للمذهب المالكي بالأندلس"[1].

لعلنا ندرك من ذلك أن الحدث الأكبر والفريد فى تاريخ الفقه الإسلامي بالأندلس تحقق على يد أحد أعلام قبيلة لَخْم: زياد بن عبد الرحمن اللَخْمي، متمثلا فى تغير المذهب الفقهي لأهل الأندلس على يده، ويمكن القول أنه أول من غير مذهب أهل الأندلس، حيث يتناول أصحاب التراجم والسير هذا الحدث باهتمام وعناية فى جل كتبهم، فيذكر الضبي فى "بغية الملتمس"، والحميدي فى "جذوة المقتبس": "زياد اللَخْمي فقيه أهل الأندلس على مذهب مالك بن أنس، وهو أول من أدخل الأندلس فقه مالك بن أنس، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي"[2]. وذكره الذهبي بقوله: "كَانَ أول مِن أدخل مذهب مالك إلى الجزيرة الأندلُسيّة، وقبل ذَلِكَ كانوا يتفقّهون للأوزاعي وغيره"[3].

جدير بالإشارة أيضًا أن مكانة زِيَاد بن عَبْد الرَّحمن اللَخْمي تجلت فى روايته عن جماعة من كبار فقهاء العصر، فروى: عَن عَبْدالله بن عُقْبة، وعَن اللَّيث بن سَعْد، وعَبْدالله بن عَبْد الرَّحمن، وسُليمان بن بِلال، وعَبْد الرَّحمن بن أبي الزِّناد، وعَبْدالله بن عُمر العَمْري، وأبي معْشر، ويَحْيى بن أيُّوب، ومُوسَى بن عليّ بن رَبَاح، ومُحَمَّد بن عَبْدالله بن عُبَيْد بن عُمير الليْثي، والقَاسِم بن عَبْدالله بن إسماعيل آبن داود، وهارون بن عَبْدالله بن أبي يحيى، ومُحَمَّد بن أبي سَلَمَة العَمْرِي، وعَبْدالله آبن عَبْد الرَّحمن القُرَشِيِّ، وأبُو مَعْمَر بن عَبَّاد بن عَبْد الصَّمَد صَاحب أنس، وعَبْد الرَّحمن بن أبي بَكر بن أبي مَلِيكة، وآبن أبي دَاود، وسُفْيان بن عُيَيْنَة، وعَمْر بن قَيْس، وآبن أبي حَازِم[4].

---

(1) ذقدور الورطاسي: شبطون، المذهب المالكي بالأندلس، (مجلة الملتقى: هي مجلة شهرية تعنى بالثقافة والفكر والأدب، المغرب، العدد رقم 18، 1 ديسمبر 2007م)، ص 181.

(2) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 218، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 294، ترجمة رقم (751).

(3) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج4 ص 1104، ترجمة رقم (95).

(4) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص182.

ثم تلا حدث إدخال موطأ مالك على يد زياد اللَخْمي (... – 204هـ = ... – 819م)؛ **اعتناء جُملة من الفقهاء اللَخْميين بكتاب "الموطأ" وتفاسيره ورواياته؛ حفظًا وسماعًا وتحدثًا**، فتجلت بداية عناية فقهاء المالكية اللَخْميين بشروح كتب الفقه المالكي –عصر الخلافة الأموية– بالأندلس كعنايتهم بـ "مُختصر ابن أعين المالكي وشرحه؛ كشرح الأبهري[1]، الذي تتلمذ على يده الفقيه إبراهيم بن بكرِ اللَّلَخْميُّ الإلبيري (... – 385هـ = ... – 995م) خلال رحلته إلى العرق[2]، ويعد (شرح الإمام الأبهري على المُختصر الصغير– لابن أعين)، من أبرز كتب الفقه المالكي التي حملت إلى الأندلس وأجلها، ومُجمل مسائله فيما ذكره القاضي عياض تبلغ: "ألف ومائتا مسألة"[3]، وقد حدّث به إبراهيم بن بكر اللَخْمي بإِشْبِيلِيَة[4]، وذلك بعد عودته إلى الأندلس. كما تجلت عنايتهم بحفظه خلال عصر الخلافة الأموية، فحفظ الموطأ ظاهرًا أصبغ بن إبراهيم اللَخْمي (... – 395هـ = ... –

(1) هو "محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر الأبهري المالكي (287هـ–357هـ)، وله من الكتب شرح عبد الحكم الصغير شرح كتاب عبد الحكم الكبير كتاب الأصول فى الفقه كتاب الرد على المزني فى ثلاثين مسألة كتاب فضل المدينة على مكة". إسماعيل باشا البغدادي (ت1399هـ): هداية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية استانبول 1951م، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، (د.ت)، ج6 ص50.

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص22، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 215، المقريزي (ت845هـ): المقفى الكبير، تحقيق: محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1411هـ/1990م)، ج1 ص 122، ترجمة رقم (85).

(3) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج3 ص 367. جديرًا بالذكر أن عبد الله بن عبد الحكم "ألف مختصره الكبير من أسمعته عن مالك وأصحابه وخصوصًا ابن وهب وابن القاسم وأشهب. أما المختصر الصغير فإنه اختصار لهذا المختصر، وذلك أن ابن عبد الحكم وضع كتابه المختصر الكبير، ثم اختصر منه المختصر الصغير، قال ابن عبد البر: "وصنف كتابًا اختصر فيه تلك الأسمعة بألفاظ مقربة، ثم اختصر من ذلك الكتاب كتابًا صغيرًا". ابن عبد البر (ت463هـ): الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت)، ص 99.

(4) ابن الفرضي (ت403هـ): المصدر السابق، ج1 ص22.

1004م)، وهو من أهل قُرْطُبة، رحل فسمع من الإمام مالك، فحفظه ظاهرًا، وكان رجلا صالحًا، راوية للعلم[1].

وإلى جانب ذلك عني بمسائل المذهب المالكي الفقيه الحافظ أبي بكر ابن وافد، يحيى بن عبد الرحمن اللَخْمي القرطبي (... - 404هـ = ... - 1013م) الذي كان بصيرًا[2] بالأحكام فى قُرْطُبة، مستبحرًا فى مذهب المالكية، حاذقًا بحفظ المسائل والأجوبة، من أكمل قضاة الأندلس، ولقب بقاضي القضاة، كان حاضر العلم فى مجالسته، كثير الإفادة، فصيح اللهجة سمع بقُرْطُبة من أبي عيسى الليثي وغيره[3].

ونالت تفاسير المُوطأ عناية الفقهاء اللَخْميين فى عصر ملوك الطوائف، مثل: (تَفْسِير الْمُوَطَّأ ليحيى بن إِبْرَاهِيم بن مزين)، حَدث بِهِ أَبُو عبد الله، مُحَمَّد بن عبد الله بن يزِيد اللَخْميّ الإشبيلي (357 – 437هـ = 967 – 1045م)، الْمَعْرُوف بِابن الأحدب قِرَاءَة عَلَيْهِ قَالَ: حَدثنَا بِهِ الرِّوَايَة أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ اللَخْميّ الْبَاجِيّ قَالَ حَدثنَا أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن فطيس الغافقي عَن

(1) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 108.

(2) "البصيرة لغة: من بصر وهو العلم بالشي، ويقال: بصرت بالشيء بصرًا علمت، ويقال: هو بصير به، وجمع بصيرة بصائر". ابن فارس (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ/1979م)، ج1 ص 252، الفيومي (ت770هـ): المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ج1 ص 69.

(3) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك، ج7 ص 176-177، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 627، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج9 ص 78، وذكر وفاته فى سير أعلام النبلاء، ج17 ص 209.

يحيى بن إِبْرَاهِيم بن مزين مُؤَلفه -رَحِمَه الله-[1]، وحدث عنه أبو العباس العذري، وروى عنه ابن خزرج وأثنى عليه[2].

كما حدث بالموطأ جملة من العلماء اللَخْميين بعضهم عن البعض، فيما ذكره ابن خير الإشبيلي؛ حيث يقول: "حدث به الشَّيْخ الإِمَام ابن القيجطيلي الْمكتب أبي عَمْرو، عُثْمَان بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن يُوسُف اللَخْميّ، قَالَ: حَدثنَا بِهِ أَبُو عِيسَى يحيى بن عبد الله بن أبي عِيسَى عَن عَم أَبِيه أبي مَرْوَان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عَن أَبِيه يحيى بن يحيى عَن مَالك بن أنس[3]. وقال ابن خير: والشَّيْخ الْخَطِيب أَبُو الحكم عَمْرو بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن نجاح اللَخْميّ -رَحِمَه الله- مناولة مِنْهُ لي فى أصل كِتَابه قَالَ: حَدثنِي بِهِ -أي الموطأ- خَالِي أَبُو الْحسن عَليّ بن عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شَرِيعَة اللَخْميّ الْبَاجِيّ -رَحِمَه الله- سَمَاعا عَلَيْهِ مرَّتَيْنِ فى سنتي (486هـ، 487هـ) فى شهر رمضان[4].

وحازت روايات الموطأ بالاهتمام الكبير من الفقهاء اللَخْميين -عصر المرابطين- وخاصة (رِوَايَة يحيى بن يحيى اللَّيْثِيّ الأندلسي) -رَحِمَه الله- فَحَدث بهَا الشَّيْخ الْفَقِيه القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ (447 – 532هـ = 1055 – 1137م) -رضي الله عنه- وَعَن

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 75.

(2) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص66، ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 500، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 91، ترجمة رقم (172)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج9 ص 568، ترجمة رقم (211).

(3) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 68 – 69.

(4) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 70.

سلفه سَمَاعًا من لَفظه بقرَاءَته على ابن خير الإشبيلي فى شهر رَمَضَان المُعظم من سنة (520هـ)، وقد ناظَرَ النّاس، وتفقّهوا عليه[1].

ثم بلغت عناية اللَخْميين ذروتها بموطأ الإمام مالك خلال عصر الموحدين؛ فحمل الفقهاء اللَخْميين لواء المذهب المالكي بنشره بالأندلس؛ فتلقى الأندلسيين الموطأ سماعًا عن غير واحدًا من الفقهاء اللَخْميين بطَرْطُوشَة كابن الأصيل أبي عبد الله، محمد بن أحمد اللَخْمي الطرطوشي (496-567هـ=1102-1171م) فحدث عنه الرحالة الشهير أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، وسمع منه "الموطأ" فى سنة (557هـ)، كما لقيه أبو عمر يوسف بن عياد، وكتب عنه يسيرًا، وكان موصوفًا بالمعرفة والفهم، وانتفع به الناس[2].

وشهدت الأندلس التحدث بالموطأ، وإتقان حفظه، وتعدد سماعه خلال هذا العصر عن طريق جذوة من علماء الفقه اللَخْميين فى مواضع مختلفة بها، فحدث بالموطأ فى مَرْبَلُّه -عمل مَالَقَة- ابن جامع أبي عبد الله، محمد بن أحمد اللَخْمي (... – بعد 570هـ= ... – 1174م)، روى عن أبي عبد الله بن الراهب، وسمع منه "موطأ مالك" وحدث به عنه قبل عام (570هـ/1174م)[3].

(1) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 347، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 381، ترجمة رقم (1071)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص 572، ترجمة رقم (90).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 37، وذكر عبد الملك المراكشي (ت703هـ)، أخذ ابن جبير عنه دونما ذكر للموطأ. الذيل والتكملة، ج5 ص 671، ترجمة رقم (1265).

(3) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 43، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): المصدر السابق، ج6 ص 81، ترجمة رقم (184).

كما أتقن الفقهاء اللَخْميين حفظ موطأ مالك بعرضه مثلما فعل ابن مضا، أحمد بن عبد الرحمن اللَخْمي (511 – 592هـ = 1117 – 1195م)، عرضه على أبو عبد الله بن أصبغ، وكان جميل السيرة كريم الخلق[1].

واشتدت عناية الفقهاء اللَخْميين بموطأ الإمام مالك أن تعدد سماعه من العُلماء أكثر من مرة، ويتجلى ذلك عند أبي محمد الحريري، عبد الله بن قاسم اللَخْمي (591 – 646هـ = 1194 – 1248م)، من أهل إِشْبِيلِيَة، ويعرف بالحرار، واختار هو الحريري فعرف بذلك، سمع (الموطأ) من ابن بقي ثلاث مرات[2].

2- تدريس الفقه وأصوله وبعض كتبه:-

كانت همة علماء قبيلة لَخْم نحو تدريس الفقه ترجع إلى ارتباط هذا العلم بالدين الإسلامي وعمق اتصاله بمصادره الكريمة المتمثلة فى كتاب الله عز وجل والسنة المطهرة؛ فنال منهم عناية بالغة، وكانوا يعقدون حلقات دروسهم بالمساجد والمنازل بشكل خاص فى إِشْبِيلِيَة وقُرْطُبة؛ فتوفر كثير من الفقهاء اللَخْميين على دراسة هذا العلم وتيسير قواعده وتوضيح تعاليمه للمسلمين لتكون أيسر فهمًا وأسهل معرفة لأذهانهم؛ فيستقيم به سلوكهم ومعاملاتهم الدينية والدنيوية، وتنتظم به أحوالهم وعلاقاتهم.

كما أن أخذ الأندلسيين لعلم الفقه عن الفقهاء اللَخْميين بشكل خاص كان يرجع إلى مكانتهم العلمية الطيبة، ولِما نالوه من الشهرة الواسعة، والثناء الطيب والجميل، فكان منهم أئمة العصر والفقهاء الأجلاء، وقد انصب اهتمامهم على تدريس الفقه المالكي امتدادا لمسيرة عالمهم الأكبر الفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن "شبطون".

---

(1) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج1 ص 79، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج12 ص 971، ترجمة رقم (49).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 297، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 104، ترجمة رقم (233)، ذاكرًا لروايته عن أبو القاسم بن بقي.

درس الفقه المالكي بقُرْطُبة –خلال عصر الخلافة الأموية– أشهر فقهاء إِشْبِيلِيَة اللَخْميين، منهم: الفقيه المالكي، أبو عمر البّاجي، أحمد بن عبد الله بن شريعة اللَخْمي (332 – 396هـ = 943 – 1005م)، وكان فقيهًا جليلا فى مذهب مالك، ورث العلم والفضل –رحمه الله– كان إمام عصره، وفقيه زمانه، حدث عنه أبو عمر بن الحذاء، وقال: دخل قُرْطُبة وجلس فى مسجد ابن طوريل بالربض الغربي للتدريس، وكان إمامًا فى الْأُصُول والفروع[1]. وقد تجلت مكانة الفقيه المالكي أبو عمر البّاجي عند واحدًا من كبار شيوخ العصر بالأندلس "أبي عمر بن عبد البر، قال: كان أبو عمر الباجي إمام عصره وفقيه زمانه، جمع الحديث والرأي والبيت الحسن والهدى والفضل، ولم أر بقُرْطُبة ولا بغيرها من كور الأندلس رجلاً يقاس به فى علمه بأصول الدين وفروعه"[2]، وسمع منه ابن الفرات البطليوسي، ومحمد بن عبد الله الحصار، وأبو بكر ابن الوليد، وآخر من روى عنه، أحمد بن محمد الحصار بالإجازة[3].

واشتهر بتدريس المذهب المالكي –عصر المرابطين– مع العلم بأحكامه وكتبه وأسمعته، أبو الوليد الشنتجالي، يونس بن أبي سهولة بن فرج اللَخْمي (... – 514هـ = ... – 1120م)، ويعرف بالشنتجالي؛ لأن أصله منها، وسكن دانِية؛ وكان فقيهًا مشاورًا مُدرسًا للمذهب المالكي عالمًا بالأحكام، لقيه ابن برنجال بقُرْطُبة، وبها قرأ عليه بعض المدونة والعتبية وأجاز له ما رواه[4]، والعتبية (المستخرجة) من الأسمعة المسموعة من مالك ابن أنس، رواها أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي[5].

(1) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ج1 ص16.
(2) الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 184، ترجمة رقم (423).
(3) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج8 ص 46.
(4) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج4 ص 229.
(5) الحميدي (ت488هـ): جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ص 39.

كما حظيت مؤلفات علوم الفقه على اهتمام العلماء اللَخْميين[1]؛ وخاصة كتب الفقه المالكي التي حازت على عناية واهتمام الفقهاء اللَخْميين فى مجالس التدريس والمناظرة؛ فيما أشارات إليه العديد من المصادر من تنوع قراءتها وحفظها والتحدث بها، ومن أهم هذه الكتب (**تَهْذِيب سَحْنُون بن سعيد**[2] للأسدية وتبويبها، وهو المشهور باسم "المدونة".

وقد ساهم الفقهاء اللَخْميين فى انتشار "المدونة" فى مجالس المناظرة للتدريب على الفقه فقرئها فى مجلسه القاضي أبي مروان؛ عبد الملك بن عبد العزيز اللَخْمي الباجي (447–532هـ=1055–1137م) فى مجالس التناظر عنده، قال: حدثني بها أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد قالوا: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله عن جده الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة الباجي عن أبي عمر أحمد بن خالد بن يزيد عن محمد بن وضاح عن سحنون بجميعها[3]. وقد احتوت المدونة على ستة

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 15، كشاف رقم 4): المؤلفات العلمية التي رواها العلماء اللخميين بالأندلس فى علوم الفقه.

(2) هو عبد السلام بن سعيد بن ربيعة التنوخي. يكنى أبا سعيد، ويلقب بسحنون، أصله شامي من حمص، قدم به أبوه سعيد فى جند حمص إلى القيروان، وبها أخذ العلم من مشايخها. رحل إلى مصر والحجاز فسمع من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وسفيان بن عيينة، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبي داود الطيالسي، ثم انصرف إلى إفريقية سنة 191هـ، ولي القضاء بها سنة 234هـ، وسنه إذ ذاك 74 سنة، فلم يزل قاضيًا إلى أن مات سنة 240هـ، ومولده سنة 260هـ. القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك، ج4 ص45، ابن فرحون (ت799هـ) الديباج المذهب، ج2 ص30.

(3) القاضي عياض (ت544هـ): المصدر السابق، ج3 ص292، وفي رياض النفوس: "إن أحببت الرأي فعليك بالعراق"، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم)، تحقيق: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، (د.ت)، ج1 ص256. علياء هاشم: فقهاء المالكية دراسة فى علاقاتهم العلمية فى الأندلس والمغرب، حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، (رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة الموصل، 1424هـ/2003م)، ص 128.

وثلاثين ألف مسألة"[1]، "هي ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتبويبه وبعض إضافاته"[2]. وللمدونة قيمة عليا عند المالكية، وأهمية كبرى، جمعت أقوال مؤسس المذهب وأقوال أصحابه الكبار على وجه التحري والدقة والضبط، فصارت بذلك مرجع المالكيين فى الفقه، حتى سموها الأم والكتاب؛ لمنزلتها الرفيعة، فهي أشرف ما ألف فى الفقه من الدواوين، وهي أصل المذهب وعمدته"[3]. فالمدونة أصل علم المالكيين، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك -رحمه الله- ويروى أنه ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك، ولا بعد الموطأ ديوان فى الفقه أفيد من المدونة، هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها فى الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ من غيرها ولا يجزئ غيرها منها[4].

كما شملت عناية الفقهاء اللَخْميين الكتب الفقهية التي تناولت مسائل الأموال وزكاتها، فحدث بكتاب **(جُزْء فِيهِ تَفْسِير الزَّكَاة)** من اخْتِصَار الْفَقِيه أبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد ابن عبد الله الْبَاجِيّ -رَحِمَه الله- حَدث به القاضي أبو مروان؛ عبد الملك بن عبد العزيز اللَخْمي الباجي (447 – 532هـ = 1055 – 1137م) عن أبيه وعميه أبي عمر أحمد وأبي عبد الله محمد وابن عمه أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد قالوا كلهم حدثنا: به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله مختصرة وجامعه[5].

---

(1) ابن فرحون (ت799هـ) المصدر السابق، ج2 ص 208.

(2) عمر الجيدي: محاضرات فى تاريخ المذهب المالكي فى الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، (د.ت)، ص 177.

(3) الحطاب الرعيني (ت954هـ): مواهب الجليل فى شرح مختصر الشيخ خليل، دار الفكر، ط2، (1412هـ/1992م)، ج1 ص 47.

(4) ابن رشد (ت520هـ): المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1408هـ/1988م)، ج1 ص44 – 45، الونشريسي التلمساني (ت914هـ): عدة البروق فى جمع ما فى المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1410هـ/1990م)، ص 543.

(5) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 2013، رقم (465).

ومن الكتب الجليلة فى النظام المالي، التي عني بها الفقهاء اللَخْميين بالأندلس: كتاب **(الْأَمْوَال- لأبي عبيد الْقَاسِم بن سَلام)**، حَدث بِهِ أَبُو مَرْوَان؛ عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز الله اللَخْميّ الْبَاجِيّ الإشبيلي (447 – 532هـ = 1055 – 1137م) عَن أَبِيه وعميه وَابن عَمه عَن الْفَقِيه أبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله بن أَحْمد بن عبد الله عَن جده الراوية أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ الْبَاجِيّ عَن أبي عمر أَحْمد بن خَالِد بن يزِيد عَن عَليّ بن عبد الْعَزِيز عَن أبي عبيد[1].

وكتاب "الْأَمْوَال لأبي عبيد الْقَاسِم بن سَلام هو كتاب جليل جمع فيه ما يتعلق بالنظام المالي مُستندًا فيه على الكتاب والسنة، سالكا فيه مذهب الإمامين مالك والشافعي، محتجا باللغة والنحو كما هو الشأن فى كتبه الفقهية الأخرى. وقد ضمن كتابه هذا صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية، وتمثل الموارد العامة لبيت المال التي تتجلى فى الخراج والجزية وعشور التجارة والغنيمة والزكاة، كما تمثل أيضا النفقات العامة فى مصارف الفيء والخُمس، والزكاة وأرزاق الجيش وإحياء الأراضي. ويتحدث فيه أيضا عن عدالة التوزيع وتداول المال والمحاسبة المالية، وتحديد الملكية الخاصة، ويتطرق فيه كذلك إلى المواثيق والعهود بين المعاهدين والأئمة، وبين هؤلاء وأهل الصلح من الدول المجاورة، ما يعرف اليوم بالقانون الدولي الخاص والعام. ورغم من سبقه ممكن كتب فى هذا الموضوع، كأبي يوسف فى كتابه الخراج ويحيى بن آدم فى كتابه المسمى أيضا" بالخراج" يبقى كتاب أبي عبيد أوفي الكتب السابقة"[2].

كما حدث بكتاب **(الْأَمْوَال- لإسماعيل القَاضِي)** القَاضِي أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ الْبَاجِيّ -رَحمَه الله- قِرَاءَة عَلَيْهِ وَسمعه منه ابن خير الإشبيلي فى مَسْجده فى بَقِيَّة رَمَضَان الْمُعظم من سنة (526هـ/1131م) قَالَ: حَدثنِي بِهِ أبي وعماي أَبُو عمر أَحْمد وَأَبُو عبد الله

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 216.

(2) قاسم عزيز الوزاني: أبو عبيد القاسم بن سلام-الفقيه اللغوي، مجلة دعوة الحق، (مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية)، العدد: 312، (1416هـ/1995م)، ص 116.

مُحَمَّد وَابن عمي الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّد عبد الله ابن عَليّ بن مُحَمَّد -رَحِمهم الله- قَالُوا: حَدثنَا بِهِ الْفَقِيه أَبُو عبد الله الْبَاجِيّ مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله[1].

وعرف بمُرْسِيَة -عصر الموحدين- أحد مُدرسي الفقه المالكي الأجلاء أبي عبد الله القسطلي، محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العافية اللَخْمي (... – 558هـ = ... – 1162م) كان مُدرسًا للمذهب المالكي صدرًا فى أهل الشورى، يعرف بالقسطلي لأن أصله من "قسطلة"، روى عن أبي علي بن سكرة وأبي محمد بن أبي جعفر وتفقهه به، وكان جليلا فى بلده، موصوفًا بالحفظ، معروفًا بالنزاهة، عدلا رضى، تفقه به أبو عبد الله محمد بن سليمان بن برطلة وغيره[2].

3- التأليف فى علوم الفقه:-

أجاد العلماء اللَخْميين التأليف فى علوم الفقه[3]؛ وكانت باكورة التأليف فى علوم الفقه عندهم خلال عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وقد بدأت بوضع كتابًا فى "الأقضية" لأبي القاسم الحبيب، أحمدُ بن زياد بن محمدِ بن زياد بن عبد الرحمن اللَّخْميُّ (... – 326هـ = ... – 937م)، وهو من أهلِ قُرْطُبة. وذكر ابن فرحون فى "الديباج"، مشيرًا إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب، فقال: "ألف كتاب "الأقضية" فوضع منها عشرة أجزاء مشهورة فيها لمن نظر بلاغ من المعرفة ودربة على الحكومة، ولا بأس بما اشتملت عليه من العلم أراد بذلك الاستغناء عن شيخ الفقهاء إذ ذاك: محمد بن لبابة إذ كان ما بينه وبينه غير صالح وكان الحبيب شريف الهمة"[4] زاهداً فاضلاً، فَقِيهًا

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): المصدر السابق، ص 214.

(2) الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 54، ترجمة رقم (34)، ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 25، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 178، ترجمة رقم (155)، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج6 ص 368، ترجمة رقم (66).

(3) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لخم بالأندلس، مؤلفات العلماء اللخميين فى علوم الفقه.

(4) ابن فرحون (ت799هـ) الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، ج1 ص 156. قلت وهذا ينبه بإن التأليف فى الخطط بالأندلس بدأ فى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وليس الخامس كما يذكر عبد السلام

مشاوراً[1]، شاوره الأمير محمد مع الفقهاء .. وكان أكمل الناس أدبًا وأكرمهم عناية وأقضاهم للحاجة بماله وجاهه لم يزل نبيهًا عند الكبراء[2]. ويتبين أم موضوع كتابه يتعلق بالقضاة والقضاء وأحكامه، ويمكن ندرك فحواه ومضمون ما جاء فيه إذا علمنا أن أبي القاسم حبيب؛ كان شديد التهيب فى قضائه؛ لا يخاطب فى شيئ من أمر الخصوم إلا فى مجلس نظر؛ ولا يأذن لأحد يلقاه فى طريق فى مواكبته، ولا أن ينصرف معه، ومن ألح فيمن لا ينبغي من ذلك أمر بحبسه[3].

وصنف فى **"علوم الفقه"** خلال عصر ملوك الطوائف أبي الحسن، على بن محمد ابن أحمد بن عبد الله الباجى اللَخْمي المالكي (393 – 462هـ = 1002 – 1069م)، له كتاب: **(التبصرة)** فى الفقه المالكي[4]، حدث به الْفَقِيه الشَّيْخ الْفَاضِل أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الصّقليّ -رَحمَه الله- قال ابن عطية: حَدثنِي عَن الشَّيْخ أبي الْحسن اللَخْميّ بِكِتَاب التَّبْصِرَة إجَازَة مِنْهُ لَهُ وَأَخْبرنِي أَنه صَحبه وَاخْتلف إِلَيْهِ وَكَانَ جَاره -رَحمَهَا الله- وإيانا بمنه وتغمده آمين[5].

الحسين الجعماطي، فى بحثه: نشأة التصنيف فى النُظُم بالأندلس، (مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، العدد: رقم 90، 1 يونيو 2015م)، ص 30، بينما نجد هنا التأليف فى الخطط قد بدأ مع منتصف القرن الرابع تقريبًا.

(1) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك،ج6 ص 149، ابن الأبار (ت658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 18.

(2) ابن فرحون (ت799هـ) المصدر السابق، ج1 ص 156.

(3) الخشني (ت366هـ): قضاة قُرْطُبَة وعلماء إفريقية، ص 98.

(4) البغدادي: إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج3 ص 222. مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج112 ص 206، تحت رقم مسلسل: (112769).

(5) ابن عطية: فهرسة ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان-محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ص 141.

كما اعتنى الفقهاء اللَخْميين بالتأليف فى **"أصول الفقه"** وموضوعاته كفقه الخلاف؛ فألف فيه خلال عصر المرابطين؛ الميورقى الشَّافِعِي أَبُو الْحَجَّاج؛ يُوسُف بن عبد الْعَزِيز بن على اللَخْمى الأندلسي (... – 523هـ = ... –1128م)، له (تعليقة فى الْخلاف)، فى أصول الفقه[1].

ومع أواخر القرن السابع الهجري صنف فى **"الخلافيات الفقهية"** أيضًا، ابن فرح أَبُو الْعَبَّاس الإشبيلي الْمُحدث المالكى، شهَاب الدَّين؛ أَحْمَد بن فرح بن أَحْمَد بن مُحَمَّد اللَخْمى (... –699هـ = ... – 1299م)، له (مختصر خلافيات البيهقي)؛ فى الفقه، وتقع أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية فى أنه "لم يسبق إلى نوعه ولم يصنف مثله، كما أنه طريقة مستقلة حديثة لا يقدر عليها إلا مبرز فى الفقه والحديث، قيم بالنصوص"[2]. وتتجلى أيضًا "أهميته فى تفصيل مسائل هذا الكتاب، وطرق بحثها التي تعتمد على أسلوب المحدثين، ومن هنا تأتي أهمية أخرى تتعلق بذكر علل الحديث ومواطنها، وأقوال الحفاظ والنقاد فى ذلك، كما أنه يتتبع طرق الحديث، وبهذا يتبين الصحيح من الضعيف والغث من السمين، وقد حشد المؤلف فى هذا الكتاب من الأحاديث المرفوعة والموقوفة وآثار التابعين ما يزيد على الألف. كما يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الفقه المقارن مع الدليل المناقش سندًا ومتنًا، فكل طالب علم يريد هذا النوع من العلم يجد ضالته فى هذا الكتاب"[3].

وخلاصة القول فى صدد هذا الفصل حول الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة لَخْم فى العلوم الدينية، فإنه يتضح دورهم الجليل والعظيم بالتدريس والعناية بمؤلفات هذه العلوم، فضلا عن قيامهم بالتأليف فيه، فأسهموا بدورهم فى ازدهار الحياة العلمية بتنشيط حركة العلوم الدينية المتمثلة فى علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، بل لن نجد دورًا لهم أعظم من دورهم فى هذه العلوم، بالإضافة إلى تأكد تطبيقات المراتب العلمية لهذا الدور حول طلبه وتدريسه والتأليف فيه.

---

(1) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2 ص 552.

(2) تاج الدين السبكي (ت771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، ج4 ص 9.

(3) ابن فرح اللخمي: مختصر خلافيات البيهقي، تحقيق: ذياب عبد الكريم ذياب عقل، مكتبة الرشد، بالمملكة العربية السعودية، الرياض، (1416هـ/1997م)، مقدمة التحقيق، ص10-11.